مكتب آلبا برس

من أعلام الأزهر الشريف

فضيلة الشيخ / محمد المختار المهدي

إمام أهل السنة

والرئيس العام للجمعيات الشرعية بمصر

ودوره في خدمة الدعوة الإسلامية

إعداد
بكر إسماعيل
ممثل كوسوفا في مصر

تقديم

أ.د / أحمد علي طه ريان
رئيس قسم الفقه المقارن جامعة الأزهر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن شخصية الأخ الكريم الأستاذ الدكتور/ محمد المختار محمد المهدي، كما عرفتها عن قرب، هي شخصية العالم الأزهري، كما كنا نسمع عنه في الأرياف، وكما ترسخت معالمه لدي المسلمين من خارج مصر، والذي كان عنواناً على العالم الجامع لكل معاني المعرفة الشرعية، بدءاً من العلم بأدواتها، أو بأحكامها العملية، من خلال المعرفة بفروعها التي تدور حول الأحكام التكليفية، ولم يكن من المحتم لهذا العالم أن يكون متبحراً في كل فنون هذه المعارف بدرجة واحدة، لكنه يجيب ويفيد في كل فرع منها، إذا ما احتيج إليه فيه.

فالدكتور المختار- أطال الله عمره- قد رزق هذا المعنى الجامع ولم يحصر نفسه في مجال تخصصه الدقيق، مثلي ومثل معظم إخواني الأزهريين، مما أتاح له الإفادة في كثير من المجالات الثقافية التي شارك فيها، سواء في مجالات التدريس الأكاديمي، أو مجالات الدعوة، أو مجالات الثقافة العامة، أو مجالات التنظيم والإدارة.

لذلك كله لم يكن قرار هيئة كبار علماء الجمعية الشرعية باختياره إماماً لأهل السنة، مستغرباً.

ومن يرد أن يتحقق من قولي هذا فليتصفح هذه الوريقات التي اشتمل عليها هذا الكتيب، فتراه يكتب بحوثاً في النحو والصرف فى خدمة النص القرآنى، وفي نفس الوقت يكتب في مجال السيرة النبوية والحقوق الإنسانية، بين الشريعة الإسلامية والقوانين الدولية، حيث تجده يتحدث بإفاضة عن الإخاء الإنساني من مفهومه الواسع، انطلاقاً من مبدأ المساواة المقرر في القرآن، كما يتحدث عن حق الحياة، الذي منحه المولى جل علاه لجميع البشر، وحق الحرية الذي يميز الإنسان عن غيره من سائر المخلوقات، كما يكتب عن الاجتهاد بين الثوابت والمتغيرات ...وغير ذلك كثير وكثير، مما حفلت به تلك البحوث من الموضوعات التي أسهم بها الدكتور/ المختار في شتى مجالات المعرفة الشرعية واللغوية وأثرى بها المكتبة الثقافية الإسلامية.

ومع هذا كله؛ فإني أضيف إلى ما قاله المؤلف مجموعة من الحقائق عن الشيخ المختار، كنت شاهد عيان عليها.

أولاها: دوره الذي شارك به مع إخوانه، في بيان مكة المكرمة المشهور الذي أصدره علماء الأزهر بمكة المكرمة في

نهاية عقد التسعينات من القرن الميلادي الماضي للرد على فتوى مفتى مصر في ذلك الوقت بإباحة عوائد شهادات الاستثمار وفوائد البنوك، في الوقت الذي رفض فيه البعض المشاركة والبعض الآخر محا توقيعه عليه بعد أن كتب اسمه عليه وذلك من الفريقين خوفاً من التبعات التي يمكن أن تلحق بالموقعين عليه. بل لخصه بأسلوبه الأدبي الرائع ونشره في مجلة البيان التي تصدر من لندن، ووضعه بنصه الدكتور/ يوسف القرضاوى فى بعض كتبه .

ثانيهاً: دوره الرائد في جبهة علماء الأزهر في بداية العقد الأخير من القرن الماضي وكان أبرز أعضاء اللجنة التنفيذية الذين كانوا يتولون المهام الجسام، كما كان في نفس الوقت أميناً عاماً للجبهة، فاضطلح بدوره، بكفاءة واقتدار، مما رسخ دور الجبهة في مناصرة القضايا الإسلامية،ومؤازرة الأزهر الشريف في أداء دوره المحوري في المجتمع الإسلامي، ورفع مستوى درجة الوعي الديني لدى عامة المسلمين.

ثالثها: جهده المتواصل في خدمة الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية منذ أكثر من ربع قرن دون ملل أو كلل، لقد دفعتني الظروف لمشاركته في بعض الأعمال، فتعددت جلساتي إليه وطالت، وذلك في مكتبه في مقر

الجمعية المؤقت بحديقة الخالدين، فكان يقوم بعمله، في دأب وتفان دون شعور بإرهاق أو إجهاد ،مع كثرة العمل وضخامته،وجلسات اللجان المختلفة وتعددها، إلى جانب الرد المتواصل على الهواتف التي لا تكاد تنقطع، إما بالرد على استفسارات فروع الجمعية المترامية الأطراف في كل أنحاء مصر، أو إصدار التوجيهات اللازمة لمن هم في حاجة إليها. ومن أجل ذلك ترك بيته وأهله وأقام إقامة دائمة في مقر الجمعية.

وهو في كل ذلك راض محتسب ، يرفض أى مقابل مادي على عمله أملا في ثواب الله.

لذلك كله عرفت أن اختياره لرآسة الجمعية بالرغم من أنه لم يكن أكبر الأعضاء سناً، لم يكن من فراغ وليس من باب المجاملة ، وإنما كان عن معرفة بدوره، وتقدير لجهده، وقيام بوضع الأمانة في أمينها.

لذلك نرجو من المولى عز وجل أن يبارك جهوده المتواصلة، وأن يمتعه بالصحة ليستمر في هذا العطاء المبارك وأن تزداد هذه الجمعية على يديه ازدهاراً وعطاء لخير المسلمين، إنه قريب مجيب .

أ.د. أحمد طه ريان

مقدمة

الحمــد لله رب العالميــن،نحمده ونســتعينه ونســتغفره ونستهديه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا إنه سميع قريب مجيب، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين. وبعد،،

فــإن موضــوع الفكــر الإســلامي وأعلامــه وتاريخــه ومرجعيته، قضية شائكة ، ذلك أن التيارات الفكرية المعاصرة واجهــت الإســلام وتــراثه الحضــاري مــن مــنطلقاتها الفكــرية (الأيديولوجية) التــي تشكل قاعدتهـا الحضارية،وترسم الخريطة التاريخية من خلال مفاهيمها الجاهزة التي لا تريد أن تحيد عنها، أى أنها لا تحـاول أن تضـع الـتاريخ فـي مـداه الزمانـي والمكانـي ورصد النتائج التي استقرت من تلك المواجهة ، ورأينا أن أصحاب تلك الأفكار(الأيديولوجيات) قد سيطروا في ظل غفلة العالم الإسلامي وسقوطه على مساحة كبيرة من الميدان الفكري والتاريخي ، ونشروا وكتبوا من خلال أجهزة النشر والإعلام الضخمة المنتشرة في طول البلاد وعرضها، والتي توجهها أجهزة غير إسلامية منذ عشرات من السنين، ومن هنا كانت أهمية دراسة الفكر الإسلامي وأعلامه وتاريخه وتراثه من حيث الحقائق المجردة، ومن خلال أوضاعنا المعاصرة ، كي ندخل في حوار علمي بناء مع معارضي الإسلام بتفنيد مناهجهم ليهتدوا هم إلى الحق أولاً، ونحول بينهم وبين وصول مناهجهم وأفكارهم إلى أجيالنا الناشئة ثانياً.

وإن فعلنا ذلك بوضوح وموضوعية، نكون قد قدمنا منهجاً متكاملاً حول دراسة تراثنا الحضاري بجانب دراستنا لإسلامنا الذي يشكل أساس نظرتنا الإسلامية للكون والحياة والإنسان.

وإنه ليسرني ويسعدني أن أقوم بدراسة وعرض وتحليل تلك الشخصية الدعوية الكبرى التي تعد رمزاً للعلم والفكر، وهي شخصية الأستاذ الدكتور/ محمد المختار محمد المهدي، ذلك العلم الفذ الذي يملك زمام البحث في المنقول والمعقول، فضلاً عن أنه داعية من الطراز الأول، الذي يستأثر بحب الجماهير العريضة، ويملأ عليهم قلوبهم بعلمه وفكره ومنهجيته القويمة، فهو علم من أعلام الأزهر الشريف، ورمز من رموز الفكر الإسلامي، بل يعتبر من الذين اتجهوا بحق نحو تجديد الفكر الإسلامي.

فالأستاذ الدكتور/ محمد المختار محمد المهدي من أفاضل الكتاب المسلمين القادرين على التصدي للقضايا الفكرية الهامة وتناولها بالنظر الدقيق، والمعالجات المتميزة.

ولما كانت قضية (إصلاح مناهج فكر المسلمين) تمثل حجر الزاوية في محور همومنا واهتماماتنا، فلا غرابة في أن أكتب عن رجل في مثل مقدرة الأستاذ الدكتور/ محمد المختار محمد المهدي، لعل دراستنا لشخصيته وبيان دوره في الفكر وأثره الفعال نحو خدمة قضايا العالم الإسلامي يضيف إلى رصيدنا في هذا المجال جديداً يساعد على فتح أبواب الحوار الفكري الجاد حول قضايا لا تزال في حاجة ماسة إلى الإثراء والتناول من زوايا مختلفة حتى يتبين فيها السبيل وتتضح الرؤية.

ودراستنا لهذه الشخصية الفكرية الفذة نتناول فيها حياته، وفكره، ودوره الريادي في خدمة قضايا العالم الإسلامي، وأثره العلمي والثقافي في مجال التأليف والتصنيف لتتضح الصورة أكثر، وننشر هذا الفكر على العالم.

بكر إسماعيل

ممثل كوسوفا في مصر

Tel : 0105171438

القاهرة

الأستاذ الدكتور/ محمد المختار محمد المهدي

حياته وفكره

الاسم: محمد المختار محمد المهدي عبد الله حسنين.

تاريخ ومحل الميلاد: ولد في ١٣/ ٤ / ١٩٣٩م بقرية تصفا، مركز كفر شكر، محافظة القليوبية، جمهورية مصر العربية.

العمل الحالي:

* إمام أهل السنة.
* الرئيس العام للجمعيات الشرعية.
* أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين- بالقاهرة- جامعة الأزهر الشريف.

المراحل التعليمية والمؤهلات العلمية:

التحق الأستاذ الدكتور/ محمد المختار محمد المهدي بمعهد الزقازيق الديني سنة ١٩٥١ وحصل منه على الابتدائية سنة ١٩٥٥ م، ثم حصل على الثانوية من نفس المعهد سنة ١٩٦٠م.

ثم التحق بكلية اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٠م ، وحصل منها على الإجازة العالية (الليسانس) سنة ١٩٦٥ بتقدير جيد جداً مع مرتبة الشرف.

ثم واصل المشوار العلمي ،فالتحق بالدراسات العليا وتفوق حتى حصل على درجة التخصص (الماجستير) في اللغويات سنة ١٩٧١ بتقدير جيد جداً، ثم حصل على درجة العالمية(الدكتوراه) سنة ١٩٧٦م بتقدير" مرتبة الشرف الأولى" والتوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة وتبادلها مع الجامعات الأخرى.

التدرج الوظيفي:

تدرج الأستاذ الدكتور/ محمد المختار محمد المهدي في عدة وظائف مهمة تتلخص فيما يلي:

[١] محرر ومراجع بصحيفة الأخبار المصرية من سنة ١٩٦٣م وحتى سنة ١٩٦٦م.

[٢] أمين عام المكتب الفني للنشر والصحافة بالجامعة الإسلامية بليبيا من سنة ١٩٦٦م وحتى سنة ١٩٦٩م.

[٣] مشرف على تحرير مجلة الهدى الإسلامي بليبيا فى هذه الفترة.

[٤] محرر بصحيفة الأهرام من سنة ١٩٧٠م وحتى سنة ١٩٧٥م.

[٥] مستشار صحفي لوزير شئون الأزهر بالمكتب الفني للوزير سنة ١٩٧٤م.

[٦] معيد ومدرس مساعد بكلية اللغة العربية بأسيوط سنة ١٩٧٥م.

[٧] مدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية،وأستاذ مساعد من سنة ١٩٧٦م.

[٨] رئيس قسم اللغة العربية وآدابها من سنة ١٩٨٣م.

[٩] أستاذ مساعد وأستاذ مشارك بجامعة أم القرى بمكة المكرمة من سنة ٧٩-١٩٨٢م، ومن ٨٧-١٩٩٢م.

[١٠] أستاذ بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٩٩٦م.

[١١] أستاذ الدراسات العليا اللغوية بكلية الدراسات الإسلامية والعربية حتى الآن.

أنشطة خارج الوظيفة:

[١] عضو ومقرر لجنة القرآن وعلومه بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف من سنة ١٩٩٥م وحتى الآن.

[٢] عضو لجنة تحكيم المسابقات الثقافية والدينية بوزارة الشباب من سنة ١٩٨٢م، وعضو قوافلها الدينية حتى الآن.
[٣] عضو بنقابة الصحفيين من سنة ١٩٧٠ وحتى الآن.
[٤] عضو بهيئة كبار علماء الجمعية الشرعية وأمين عام مجلس الإدارة ،ورئيس لجنة الإشراف على معاهد إعداد الدعاة من سنة ١٩٨٥م.
[٥] عضو بلجنة تقنين الشريعة الإسلامية بمجلس الشعب المصري سنة ١٩٧٨م.
[٦] خبير وباحث بمكتب فضيلة شيخ الأزهر سنة ١٩٧٩م.
[٧]عضو بلجنة اختيار قراء التليفزيون المصري سنة ١٩٨٤م.
[٨] شارك في جميع البرامج الدينية بالإذاعات المسموعة والمرئية بمصر والدول العربية بقنواتها المختلفة من سنة ١٩٧٦م.
[٩] رئيس تحرير نشرة "التبيان" التي تصدر عن الجمعية الشرعية الرئيسية.
[١٠] أمين عام الجمعية الشرعية الرئيسية ثم الوكيل العلمي لها.
[١١] إمام أهل السنة والرئيس العام للجمعيات الشرعية.
[١٢] أستاذ الدراسات العليا بالمعهد العالي للدراسات الإسلامية بميت عقبة من ١٩٩٨م حتى الآن.

البحوث المتخصصة حسب تسلسل إنتاجها:

[١] أم واستعمالاتها في اللغة العربية (مرحلة التمهيدي للماجستير).
[٢] تحقيق باب المضمر من شرح المرادي على التسهيل (مرحلة التمهيدي للماجستير).
[٣] أساليب التوكيد في النحو العربي (بحث الماجستير).
[٤] المصادر واستعمالاتها في القرآن الكريم (رسالة الدكتوراه).

[٥] تحقيقات وتنبيهات حول التعدي واللزوم (للترقية إلى أستاذ مساعد).
[٦] اسم المصدر بين أقوال النحاة واستعمال القرآن الكريم (للترقية إلى أستاذ مساعد).
[٧] حروف الجر بين التناوب والتأويل (للترقية إلى أستاذ مساعد).
[٨] تقعيد النحو بين النص القرآني والشعر العربي (للترقية إلى أستاذ).
[٩] تحويل الصيغه وأثره في المعنى والعمل (للترقية إلى أستاذ).
[١٠] الوقف اللازم والممنوع بين القراء والنحاة (للترقية إلى أستاذ).
[١١] دقائق التصريف منهجه ومصطلحاته (للترقية إلى أستاذ).
[١٢] أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي (بحث ألقى في الجامعة الإسلامية بالمدينة ونشر بحولية كلية الدراسات).
[١٣] الأحرف والقراءات القرآنية من منظور لغوي (بحث نشر في حولية الكلية)، وأذيع على حلقات فى إذاعة القرآن الكريم بالقاهرة.

الكتب الدراسية:

[١] النحو الميسر ج١،ج٢،ج٣،ج٤.
[٢] الصرف الميسر للأسماء ج١، ج٢.
[٣] دراسات عربية في تراثنا الأصيل.
[٤] علم الخليل.
[٥] مختارات من التراث للدراسات العليا.

كتب دعوية:

- دروس وعبر من سيرة خير البشر.
- الحقوق الإنسانية بين الشريعة الإسلامية والشرعية الدولية.

- شبهات وردود.
- الأمثال في القرآن.
- في نور التلاوة.
- الخطابة الهادفة.
- نصائح وتوجيهات.
- مع القصة القرآنية.
- روح الإسلام أقوى دعامة لإصلاح المجتمع الحديث.
- الاجتهاد بين الثوابت والمتغيرات.
- من حصاد الفكر الدعوى مع التفسير الموضوعي للقرآن.
- منهج الجمعية الشرعية بين التأصيل الشرعي والتطبيق العملي.

من تراث الأستاذ الدكتور/ محمد المختار المهدي

إن الأستاذ الدكتور/ محمد المختار المهدي من أفاضل الكتاب المسلمين القادرين على التصدي للقضايا الفكرية العامة وتناولها بالنظر الدقيق، والمعالجات المتميزة، فالدكتور المختار بدأ رحلته مع الفكر الإسلامي منذ بداية تكوينه العلمي، وبقى مستغرقاً في قضاياه القديمة والحديثة طيلة العقود الماضية،وأتيح له أن يتابع قضايا الفكر الإسلامي في أدق موضوعاتها.

وعالج موضوعات لغوية متنوعة وتخرج على يديه كثير من الباحثين في مصر والسعودية وامتد نشاطه العلمي في جامعة أم القرى والجامعة الإسلامية بالمدينة إلى تدريس مواد توجيه القراءات وغريب القرآن والحديث النبوي، بالإضافة إلى مواد النحو والصرف والعروض والتفسير البياني، وكم له من أحاديث إذاعية في ليبيا والسعودية ومصر، وإذا كتب الأستاذ الدكتور/ محمد المختار المهدي فإنه يكتب في الموضوع كتابة القادر على رصد وتحليل وتفسير المنعطفات الأساسية في ذلك الفكر الزاخر المتنوع.

له سعة إطلاع، وصبر على التتبع والدراسة، وقدرته على التعامل مع التراث الإسلامي من خلال تصور يتسم بالرغبة في النظر الكلي وعدم الاستغراق في الجزئيات والتفاصيل أتاح له ذلك- كله- أن يوجه كثيراً من الملاحظات المنهجية والنقد المنطقي لبعض جوانب تراثنا الإسلامي تتفق مع المرحلة المنهجية التي بلغتها مدرسة " إسلامية المعرفة " في البحث عن مناهج التعامل مع التراث الإسلامي.

ونظراً لأن مؤلفات أستاذنا الفاضل مشحونة بالعلم الغزير، والأبحاث المفيدة آثرت وأنا أتحدث عن أستاذنا أن أتعرض لبعض مؤلفاته بالتحليل الموجز، لتتضح الصورة، ويظهر مدى إسهام أستاذنا في مجال التراث الإسلامي الضخم الذي أثرى به المكتبة العربية والإسلامية.

وكلامي في هذا الموضوع يتلخص فيما يلي:

[١] من تراث أستاذنا الفاضل كتاب قيم بعنوان:(الحقوق الإنسانية بين الشريعة الإسلامية والشرعية الدولية).

وهو كتاب ممتع، احتوى على موضوعات دقيقة ومفيدة، وقد بين فيه أن ما أقره الإسلام من حقوق الإنسان أو المنظمة الدولية فهو مأخوذ منه لا محالة، إذ لا يستطيع أحد أن ينكر تأثر الغرب بثقافة الإسلام عن طريق الأندلس، ثم عن طريق الصليبيين، وما لم يقرره الإسلام فهو شعار زائف باطل لا يحتوى معنى للكرامة الإنسانية، ذلك أن أحداً من البشر لن يستطيع أن يجد سبيلاً إلى المفاضلة بين قانون وضعى وبين الإسلام، إذ هو بذلك يضع رسالة السماء في مستوى نتاج العقل الإنساني مع ما بينهما من بون شاسع في الإحاطة والدقة والحكمة والمصلحة..بحكم أن الأول صادر عن العليم الخبير الذي لا تخفى عليه خافية ولا تغيب عنه شاردة لا في عالم الغيب ولا في عالم الشهادة، لا في السر ولا في العلانية، وأن الثاني صادر ممن يتأرجح فكره بين حين وآخر، ويختلف ما يراه مصلحة اليوم ليصير مفسدة في المستقبل.

وهذا الكتاب قد عالج به أستاذنا موضوعات عديدة، فتحدث فيه عن مكانة الإنسان في القرآن، والإخاء الإنساني، وبين أن الناس سواسية مدعما كلامه وبحوثه بالأدلة النقلية والعقلية ،ثم تحدث عن حق الحياة، وبين أنه من الأصول الأساسية التي يتبناها الإسلام، ويضع لها من القواعد والتشريعات ما يحفظها ويحوطها بالعناية والرعاية .

كما تحدث عن حق الحرية التي هى الإطار الذهبي الذي يبدو فيه الإنسان وهو يرفرف في أفقه الإنساني الرفيع، متميزاً به على ما سواه من المخلوقات.

ثم تحدث عن موضوع مهم وخطير وهو الحرية الشخصية، التي هى أول مظهر من مظاهر التمتع بالحرية، وهى تتناول حرية الاعتقاد والتدين،وحرية الرأى والتفكير، وحرية العمل والتصرف،وبين هذه الأنواع بياناً شافياً.

ثم تحدث عن حرية الرأى والعمل، والحرية المدنية، والحرية السياسية، وحرية التنقل، وحق الهجرة، واللجوء، وحق الكرامة، وحق العدالة، وحق الملكية، وهو في كل ذلك يتناول الموضوعات بتحليل دقيق، ومنهجية قويمة، معتمداً على الأدلة والبراهين.

ثم تحدث عن مسألة التكافل الاجتماعي، وبين أن الإسلام نظام فريد متكامل يخلق الجو الصحيح للمودة المتبادلة بين أفراد المجتمع، ويستعمل المال وسيلة لتحقيق هذا الهدف ولضمان مستوى معيشي لائق بكرامة الإنسان، عاملاً على تكافؤ الفرص وحماية المجتمع من البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة.

ثم تحدث أستاذنا عن حق الإعفاف، وبين ما للرجل وللمرأة في هذا المقام.

ثم تحدث عن الرجل والمرأة في الإسلام مبيناً الحقوق المتقابلة بين الزوجين.

ثم تحدث عن كيان الأسرة، ووضح أنه لحماية هذا الكيان شرع الإسلام واجبات وآداباً يرعاها كل من الزوج والزوجة داخل البيت حتى يستمر حبل الصلة والمودة متيناً، وقوياً، وحتى لا تكون هناك أخطار ومشكلات داخلية وشرع واجبات وآداباً أخرى يتكفل بإقامتها المجتمع ممثلاً في الدولة حتى يحميها من الأخطار الخارجية التي تهدد بقاءها.

ثم تحدث عن حق التعليم والثقافة، وختم أستاذنا كتابه بخاتمة مفيدة ناشد في المجتمع الدولي وكل ضمير حر من البشر أن يفتح عينه على هذه الحقوق المهدرة على ثرى فلسطين.

[٢] من تراث أستاذنا الثقافي أيضا كتاب بعنوان: (دروس وعبر من سيرة خير البشر) تناول فيه غزوه أحد، وما حدث فيها بالتحليل الدقيق، والبحث العميق، وبين كيف أن قريشاً كانت تغلى بعد انتصار المسلمين في بدر، واستعدادات قريش للمعركة، وموقف الجبهة المسلمة، والبداية والنهاية للمعركة، وكيف كانت النهاية مؤسفة، ومدى تصوير القرآن الكريم

للمعركة، ثم تحدث عن بطولات الرجال في أحد، وكذا بطولات النساء، وما هى الآثار المترتبة على غزوة أحد، وقيمة الوفاء بالوعد.

ثم ختم الكتاب بخاتمة رائعة بعنوان:(السيرة بين الأمس واليوم) وذكر فيها أن السيرة النبوية البناءة قد توارت خلف أكوام من سذاجة الجهلاء،وتحولت إلى تراتيل جوفاء وقصة بكماء، تحكى صوراً من السلبية والخرافات، بعد أن كانت تمنح المسلمين طاقة عالية من حرارة الإيمان، والتضحية والفداء.

على أن التبر مهما وضع فوقه من تراب لن يفقد قيمته، ولن يخبو ضوؤه، فلا تزال سيرة نبينا الكريم تحمل بين طياتها عوامل القوة والكفاح، مهماً ارتضع المسلمون من أثداء الوهن، ومهما ضلت أذهانهم عن النور.

إن في سيرة رسول الله لقوة مشعة، وأضواء هادية، تبدد كل فتنة، وتفتت كل عقبة، وتقشع كل غمام.

في سيرة رسول الله ﷺ تربية للنفس المسلمة، تنطلق بها من فم الدنيا الضيق إلى آفاق الله الفسيحة، ترفرف فيها بأجنحة من نور.

في سيرة رسول الله ﷺ روح يسرى في القلوب، وسر يملأ حنايا الأفئدة، فيحرك أشواقها حتى تصعد إلى مراقى العلا، مطلة على الدنيا، جالسة فوقها، مفاخرة بأنه لا يعلوها إلا الله، ولا تسير إلا في نوره الأبيض الوضاح في سيرة رسول الله ﷺ برنامج واضح لنصر الحق، وتخطيط دقيق للوصول إلى الهدف، ومنهاج لا يخطئ الغرض، لأنه قد رسم في السماء، ولأنه متساو مع سنن الكون ونواميسه، وأسبابه ومسبباته، إن الإسلام لم ينتشر بالمعجزة، ولا بالسحر، ولا بالصدفة، بل بما يحمله في طياته من عوامل البقاء، بجانب الكفاح المستميت، قال الله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) (الأحزاب:٢٣)

بهذا الكفاح الذي صعدت معه أرواح طاهرة، ومُثّل فيه بأبطال بررة، استهانوا بالحياة، وبكل قوى الأرض، لأن معهم واهب الحياة،وكل قوى السماء.

وفي هذا البحث القصير شواهد من التاريخ العريق، (أحد) وكيف كانت قوى الكفر حاقدة مستعرة، على حين كان جند الإسلام شبه أعزل، وبالرغم من ذلك فقد مادت أمامه القوى والقدر، لأنه كان مع رب القوى والقدر حتى إذا ما هزه الشيطان ولوح له بزينة الحياة، فنسى تلك القوى بعض اللحظات، وعصى أمر رسول الله إذا بالنكسة تحدث، وإذا بالميزان ينقلب، قال تعالى: (يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً) (الأحزاب:٦٣)

[٣] ومن تراث أستاذنا العلمي كتاب فائق الروعة، مبتكر في موضوعه، محكم في نظمه بعنوان: (النحو والصرف في خدمة النص القرآني).

وهذا الكتاب باقة جمعت بين عشرة أبحاث للأستاذ الدكتور/ محمد المختار تلقى الضوء على قضايا وحقائق تتصل باللغة وبالنص المقدس الذي نزل بها في أسلوب علمي أدبي سهل رصين، يربط القاعدة بالمعنى المستفاد منها، ويتناول بعمق وأصالة، وتجديد كثيراً من المسائل التي طال اختلاف النحاة فيها.

وقد دفع أستاذنا إلى وضع هذا الكتاب كاملاً للبحث في القضايا اللغوية عدة أمور تتلخص فيما يلي:

أولاً: أنه قد شكا بعض الدارسين من الفجوة المعاصرة بين تدريس القواعد وتطبيقها ودوافع وضعها وكيفية الإفادة منها لهذا جاء البحث الأول محاولة لبيان أثر الدرس اللغوي بمفهومه العام في فهم النص الشرعي.

ثانياً: أنه ادعى بعض الباحثين الساعين إلى الشهرة على حساب علماء الأمة أن النحاة قد اعتمدوا في تقعيدهم على الشعر الجاهلي المجهول،وتركوا النص القرآني الموثق، فجاء البحث ليدحض هذا الزعم.

ثالثاً: وغابت ضوابط اسم المصدر عن كثير من النحاة، وتشعبت بهم السبل في الحكم على كثير من الأسماء، فجاء البحث الثالث يضبط هذا المصطلح من خلال أقوال النحاة في جميع العصور وأسلوب القرآن الكريم.

[٤] وشاع لدى الدارسين أن قضية التعدي واللزوم مرتبطة بالشكل الإعرابي في قدرة الفعل على النصب أو عجزه عن ذلك، فجاء البحث الرابع ليبين أن هذه القضية أشد ارتباطاً بالمعنى والدلالة من الشكل الإعرابي.

[٥] وسادت في بعض وسائل الإعلام فوضى في فهم ما ورد عن بعض النحاة أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض فاستعملوا تلك الحروف في غير موضعها، فجاء البحث الخامس ليؤكد دقة الأداء العربي في استخدام الحرف.

[٦] وفي الصيغ المختلفة للفعل الثلاثي دلالات أهمل بعضها مع مالها من أثر واضح في أداء المعنى المرتبط بالصيغة، ولهذا جاء البحث السادس محققاً لهذا الغرض.

[٧] ومن التراث الرائع لابن المؤدب وهو عالم مغمور كتاب (دقائق التصريف) وله منهج متميز في معالجة مسائل التصريف،وبه مصطلحات موجزة ومفيدة في تطوير الدرس الصرفي ولهذا جاء البحث السابع.

[٨] وطالما اختلف العلماء في تحديد مفهوم الأحرف التي نزل بها القرآن وعلاقتها بالقراءات القرآنية واللغة الإنسانية والعربية فجاء البحث الثامن عارضاً لكل هذه المباحث بطرافة ودقة علمية وبيان واضح.

[٩] وفي البحث التاسع عرض لاستعمال حرف من حروف العطف كثر استخدامه في معان مختلفة تجليها الأساليب القرآنية وهو حرف (أم).

[١٠] أهملت المناهج الدراسية مدخل الوقف ومواضعه في بيان المعنى المراد، وللنحو في ذلك مجال خطير لهذا جاء البحث الأخير معللاً وموجهاً وناقداً للوقف اللازم والممنوع في القرآن الكريم بين القراء والنحاة.

هذه هي الأبحاث العشرة التي تضمنها الكتاب، والتي من خلالها تتضح الأسباب الكامنة وراء تأليف أستاذنا لهذا الكتاب القيم حول الأبحاث والقضايا اللغوية المهمة على الساحة العلمية.

ويرى أستاذنا في مقدمة الكتاب أنه قد يجمع بين هذه الأبحاث العشرة هدف مشترك حيث يتبين من خلالها أن دراسة القواعد العربية بنحوها وصرفها ليست بمعزل عن الدقة في أداء المقصود، وحيث تقضي على بعض المزاعم والفجوات بين الدارسين والمدعين.

هذا وللأستاذ الدكتور/ محمد المختار المهدي مؤلفات أخرى وتراثه كله يتميز بالدقة والإتقان، وهو عندما يكتب يعتمد على أوضح الأدلة، وأمتنها، ويسوق الشواهد التي تؤيد وتثبت ما يذهب إليه ونراه متسماً بالأمانة العلمية في العزو والنقل.

كما أنه يكتب بموضوعية وواقعية، ويلمس حنايا القلوب، وفي بحوثه دعوة إلى الاجتهاد والعمل الجاد من أجل تقدم الأمة ولحوقها بركب الحضارة الإسلامية القديمة المتمثلة في تراثنا الإسلامي العظيم.

من الإبداعات الثقافية التي كتبها الدكتور/ محمد المختار محمد المهدي في الصحف والمجلات

إن الأستاذ الدكتور/ محمد المختار المهدي من المثقفين المعاصرين، وجهوده في سبيل نصرة الإسلام وقضايا المسلمين مشهودة ومشهورة، جادت قريحته بمقالات قيمة في الصحف والمجلات، كلها تنم عن ذهن ثاقب، وفكر دقيق، وإلمام كبير بكل القضايا وعلى كافة المستويات في مختلف المجالات، وخطورة الموضوعات التي يكتب فيها.

ومن النماذج على ذلك مقاله الرائع الذي كتبه في جريدة (آفاق عربية) بعنوان:(نحاول تجديد دماء الدعاة وثقافتهم خاصة غير المؤهلين) عن طريق معاهد إعداد الدعاة وأسابيع الدعوة وقوافلها ونشرة الجمعية الشرعية(التبيان).

وتحت هذا العنوان الكبير، شرح فيه خطة الجمعية الشرعية للنهوض بالدعوة والدعاة والطريقة المثلى في تثقيفهم.

أيضا كتب فضيلته مقالاً رائعاً في جريدة (عقيدتي) والذي نشر في الثالث عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٤٢٣هـ بعنوان:(لماذا ولد النبي الكريم يتيماً)، وقد أبدع فيه وأفاد، وحلق بآفاقه نحو روح التشريع السامية، وربط فيه ربطاً موفقاً بين نبي الله موسى وبين نبينا ﷺ من كون نبي الله موسى أيضا قد حرم وهو في سن الرضاع من عناية أبويه فوضع في صندوق وألقي به في البحر.

ومن بديع ودقيق ما كتب أستاذنا أيضا ذلك المقال الرائع الماتع في مجلة (التبيان) التي يرأس تحريرها، بعنوان: (الجهاد صحوة راشدة ووعى مستوعب لمخططات الأعداء) وقد كتبه إيماناً منه بأن الجهاد طريق إلى العزة والكرامة، وصفع لوجوه المرجفين والمنافقين، وحوار مقنع وحاسم مع من يثير الشبهات للرضا بالدنية، وحفز للهمم والعزائم، ودعا فضيلته إلى رفع الروح المعنوية والارتباط بالقوة الإلهية، والتجمع حول الهدف المنشود

دون وجل أو هلع أو طمع، وتثبيت لعقيدة البذل، والتضحية، وتذكير بكلمات الرحمن: ﴿ فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد:٣٥) ، وقوله تعالى: ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٩) ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة:١١١) ، وتذكير بكلمات النبوة،(من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق).

من أجل ذلك كله كتب أستاذنا مقاله إعذارا ومشاركة لإخواننا المجاهدين في فلسطين، ورجاء في صحوة راشدة، ووعى مستوعب لمخططات الأعداء، مستوحيا منهجه من وحى السماء، واثقا في تحقيق وعد الله.

ويأتي مقال آخر من أمتع كتابات أستاذنا الصحفية، وهذا المقال بعنوان:(لن يضروكم إلا أذى) والذي نشرته مجلة التبيان التي تصدرها الجمعية الشرعية بالقاهرة وقد أجاد وأفاد فذكر قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ * ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (آل عمران:١١١ ، ١١٢)، وذكر كلاماً في تفسيرها يهز المشاعر، ويعمل على إفاقة الضمير

والوعى، فذكر أن هذه الآيات تثبت قلوب المؤمنين، وتربط على أفئدتهم وتطمئنهم بما في علمه الذي لا يتخلف من أنهم لن يضروكم إلا أذى، لن يصيبوكم في مقتل ولن يجهزوا عليكم، ستبقى الأمة المسلمة تنشر نور الهدى في الأرض بالرغم من أنف الكافرين، وأقصى ما يستطيعونه أن يصيبوكم بأذى، سواء كان باللسان أو بالأيدي وهو أذى يحتمل ويقاوم بالصبر والمجاهدة، وبمقدار إيمانكم بالله يكون تحملكم لهذا الأذى فإن تجهزوا وبدأوكم بالقتال، وصمدتم كما أمركم ربكم مقاتلين في سبيله صفاً كأنكم بنيان مرصوص، فسيولونكم الأدبار، وسيهزمون شر هزيمة، ولن ينصروا ولا تقولوا كيف يهزمون وعندهم العَدَدْ والعُدَةْ والحصون والمؤن فالله غالب على أمره سيلقى في قلوبهم الرعب، فهل يستطيعون منعه؟ هل يشارك الله أحد في السيطرة على قلوب البشر؟.

وبعد كلام دقيق ذكر أستاذنا أن القرآن الكريم إذا كان يحكى لنا تلك التفاصيل الدقيقة في طباع أعدائنا فهو يهدف إلى مساعدتنا في اتخاذ وسائل النصر عليهم، ويحذرنا في نفس الوقت من الوقوع فيما وقعوا فيه فاستحقوا غضب الله وانتقامه (لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النور: ٦٣).

ويأتي مقال أخر نشرته أيضا مجلة" التبيان " في العدد الثاني عشر- أغسطس ٢٠٠٢م- جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ، والمقال بعنوان: (من هو العبد المخلص) وهنا تتجلى الروح الإيمانية الصافية للأستاذ الدكتور / محمد المختار المهدي، فيفيض عقله بكلام دقيق وتجود قريحته بعبارات عذبة سهلة سلسة مأنوسة لا لبس فيها ولا غموض ، فيتحدث عن كيفية الإخلاص وهدف الشيطان ووسائله والوقاية من شروره، ومنهج القرآن الكريم في تعليم المسلمين أن إبداء عورات المسلمين من أهم أهداف إبليس، وأن بث التفرقة والخلاف من وسائل الشيطان، وقد أطال ذيل الكلام

في ذلك المقام، ومن رحيق كلامه أنه قال: ومن وسائل الشيطان الخبيثة بث الفرقة في الصف المؤمن، كما حدث من الحاخام اليهودي الحاقد شاس بن قيس على عهد رسول الله ﷺ حين مر على جماعة من الصحابة فوجد فيهم الأوسي والخزرجي والمكيَ والحبشيّ والفارسي والرومي، فأرسل فيهم شاباً يهودياً يحفظ ما قيل من شعر في يوم بعاث فأخذ يردد شعر الأوس ضد الخزرج، وشعر الخزرج ضد الأوس، حتى قام بعضهم يعلن" فلنعدها جذعة" أي فلتقم الحرب مرة أخرى بين الأوس والخزرج، وهنا علم رسول الله ﷺ فأسرع إليهم وأخذ يذكرهم بنعم الله في تأليف قلوبهم واختيارهم لنصرة دينهم حتى ندموا على ما كان منهم، وابتلت لحاهم بالدموع، وهنا نزل قول الحق تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ* وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (آل عمران:١٠٠ ، ١٠١).

ولأول وهلة يلحظ المرء أن هاتين الآيتين قد عبرتا عما يريده اليهود من الفرقة بأنه كفر، وبأن هذه الفرقة لا يمكن أن تتأتي مع تلاوة كتاب الله واستحضار سنة رسول الله، كما يلحظ أن الآية التي تليها تطلب من المؤمنين ألا يموتوا إلا وهم مسلمون، ولنا أن نفهم أن حرصهم على الموت مسلمين يقتضى أن يكونوا يدا واحدة يقاتلون في سبيل الله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، وتأتي الآية التي تليها تحثهم على الاعتصام بحبل الله ونبذ التفرق والاختلاف وهكذا ندرك أن الشيطان وحزبه يحاولون دائماً بث أسباب الفرقة بين أقطار الأمة المسلمة، حتى ينشغل كل قطر بمشاغله ومشاكله ليترك غيره فريسة للعدو المشترك للأمة في مجموعها، كما لنا أن ندرك أن الحركات الانفصالية والدعوات القطرية والنعرات الطائفية والقومية تصب كلها في هذا الإطار

مناقضة لمبدأ الإخاء والأمة الواحدة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الانبياء:٩٢) .

إن أخشى ما أخشاه أن نصل إلى عبادة الشيطان فننفذ كل ما يشتهيه ويرغبه فإن العبادة في معناها العام هي تعبيد النفس لتنفيذ الأمر، فإن عُبدت لله كانت أوامره محببة لذيذة ، وكان تنفيذها سهلاً ميسوراً، وإن عبدت للشيطان هرولت إلى السقوط في مهاوي الرذيلة والهلاك، فمن أراد أن يكون من عباد الله المخلصين فليقدم ما يثبت أنه من حزب الله وأنه يسير على نهج رسول الله وصحابته ومن والاه.

وهكذا يعالج أستاذنا قضايا النفس معالجة دقيقة انطلاقاً من السمو الأخلاقي والروحي المنبثق في شريعة الله التي أنزلها على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

الأستاذ الدكتور/ محمد المختار المهدي

وروائع البيان في القرآن

إن القرآن الكريم هو حياة النفوس، ونور القلوب، وهداية إلى طرق الرشد والفلاح، من حرم من تلاوته ومدارسته فقد حرم الخير كله، ومن اتخذه سراجاً نجا من كل المزالق والأخطار، ووصل بسلامة الله إلى ما يبتغيه الأبرار من سعادة في الدنيا ونعيم في الآخرة قال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْأِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الشورى:٥٢) .

من هنا رغب الإسلام في تلاوة القرآن الكريم ومدارسته، قال تعالى (وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً) (الكهف:٢٧) ، وقال تعالى (أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ) (القلم:٣٧) .

وقد طالبنا المولى عز وجل أن نتدبر فيما نتلوه وأن نعقل ما نسمعه من كلام ربنا قال سبحانه وتعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد:٢٤) وقال تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) (القمر:١٧) وقد أعطانا المصطفى ﷺ نموذجاً ومثلاً للمؤمنين الذين هم محل تكريم وحفاوة من الملائكة ومحل رحمة وسكينة من الله تعالى، فقال صلوات الله وسلامه عليه: ((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا

غشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده)).

ولذلك شمر الأستاذ الفاضل الدكتور/ المختار عن ساعد الجد وأخذ في دراسة القرآن الكريم، ومدارسته والبحث حول معانيه والاستنباط منه والاجتهاد في عباراته، وكتب مقالات عديدة في تفسير معاني الكثير من آيات القرآن الكريم، وأجاب عن أسئلة كثيرة تتعلق بالقرآن الكريم وعلومه.

ومن كتاباته تحت عنوان: (كلمات الرحمن) أسوق إليك منها نموذجاً دار فيه حول معاني الآيات ٩٣، ٩٤، ٩٥، من سورة آل عمران حيث كتب يقول:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله ومن والاه. أما بعد،،

فنحن الآن مع أروع أساليب الحوار الهادئ والجدال النافع بالتي هي أحسن مع أهل الكتاب من النصارى واليهود، فبعد أن فرغ النص القرآني من محاجّة النصارى في شأن عيسى عليه السلام وأمه البتول، وعرض لسيرته العطرة ومسيرته الخيرة التي قوبلت من اليهود بالإنكار والتكذيب والتشويه والاتهام، وإحساس عيسى بكفرهم واصطفاء الحواريين وإيمانهم، جاءت تلك الآيات لتقص علينا طبيعة هؤلاء اليهود في معاندة الحق والجدال بالباطل وجحود ما استيقنته نفوسهم ظلماً وعلوا فقد جحدوا رسالة خاتم النبيين وكتابه المبين كما جحدوا رسالة عيسى وما جاء به في الإنجيل يرفع عنهم الإصر وليحل لهم بعض الذي حرم عليهم.

لقد جاءت هذه الآيات لتعلم المسلمين كيف يقذفون بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق : (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً) (الاسراء:٨١) ، لقد كان اليهود يستغلون أمية العرب ويدعون أنهم العلماء وأن معهم الكتاب الذي لا يمكن أن يتغير أو ينسخ فهو في زعمهم الكتاب الوحيد وإبراهيم جدهم كما هو جد العرب وما على العرب إلا أن يخضعوا لما ورد في التوراة باعتبارها حفيظة على دين إبراهيم، وكان همهم الأكبر زعزعة

العقيدة في نفوس المسلمين من الأنصار والمهاجرين معتمدين على إخفاء ما في التوراة مطمئنين إلى أن العرب لن يطلبوا منهم تلاوة التوراة لأنهم أميون لقد كانوا يركزون على إنكار نبوة محمد وإنكار ما جاء به من وحي كما كان الحال تماماً مع عيسى والإنجيل، فكانوا يهتبلون ، الفرص للتشكيك في تعاليم الإسلام، وحين علموا أن المسلمين يحلون لحوم الإبل وألبانها أشاعوا بأنها محرمة في ديانة إبراهيم وأن التوراة قد سجلت ذلك فكيف يقول محمد إنه على دين إبراهيم وهو يحل لحم الإبل وألبانها؟.

قالوا له:حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي قال: سلوني ما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على نبيه لئن أنا حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتتابعوني على الإسلام ، قالوا فذلك لك، وكان من هذه الخلال التي سألوا النبي عنها قولهم: أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه؟ فقال النبي: أنشدكم بالذي أنزل التوراة لقد حرم أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها فقالوا: اللهم نعم، قال: اللهم أشهد عليهم، وهكذا أجاب النبي على كل أسئلتهم ولم يستطيعوا أن يكذبوه فيما قال ولكنهم في نهاية الأسئلة سألوه عن وليه من الملائكة وحين قال: إن وليي جبريل ولم يبعث الله نبياً قط إلا هو وليه قالوا: لو كان وليك غيره لتابعناك وعندها نزل قوله تعالى: (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) (البقرة:٩٧ ، ٩٨).

والآيات التي معنا الآن تدور حول هذا النقاش وترد على هؤلاء بأن كل الطيبات من الأطعمة والأشربة كانت حلالاً لإبراهيم وإسحاق وإسماعيل وإسرائيل غير أن إسرائيل وهو يعقوب حين اشتكى من المرض نذر لله أن يحرم على نفسه عند شفائه أحب طعام إليه فهو الذي حرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها ولم يكن ذلك محرماً في ملة إبراهيم ولا على إسرائيل وبنيه ولكنه ألزم نفسه بهذا

النذر وتبعه أولاده في ذلك دون نص إلهي بالتحريم حتى جاءت التوراة ومعها التعاليم فخالفوها وأكلوا الربا وقتلوا الأنبياء بغير حق وصدوا عن سبيل الله وأكلوا أموال الناس بالباطل وكانوا من الظالمين المفسدين فأمضى الله عليهم ما حرمه إسرائيل على نفسه جزاء لظلمهم وزاد عليه بعض أنواع الحيتان والطير وشحوم الأنعام، هذه هى الحقيقة التي لن يستطيعوا إنكارها ولذلك يتحداهم القرآن أن يأتوا بالتوراة ويتلوها أمام المسلمين، إن كانوا صادقين في ادعاءاتهم وإلا كانوا كذابين مفترين على الله ينسبون إليه ما لم يقله يحرمون ويحلون على حسب أهوائهم، ومن هنا يأمر الرحمن نبيه بأن يعلنها لهم: قل صدق الله وكذبتم فيما ادعيتم على إبراهيم وإسرائيل والملة الخاتمة التي هى ملة إبراهيم والتي أرسل بها محمد لم يصبها تحريف ولا تبديل، إن رب العزة يأمر رسوله بأن يردد: (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (الأنعام:١٦١) ويخاطبه (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) وإذن ففخر محمد وميزته أنه على تلك الملة السمحة المائلة عن الباطل المستقيمة على الحق الواضح، ثم إن محمداً لم ينسب لإسرائيل تحريفاً ولم يعب عليه أن حرم على نفسه شيئاً أحله الله له بل إنه يمدحه إذ بذل ما يحب إرضاء لمن يحب وشكراً لمن أنعم عليه بالصحة والبرء، وأملا في أن ينال منه البر والإحسان كما قال سبحانه قبل تلك الآية مباشرة: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (آل عمران:٩٢) ، ورجاء لأن يكون ممن يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، فإذا كانت لمحمد دعوة لبنى إسرائيل فجوهرها ما أمره به ربه : فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا

هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (البقرة:١٤٠ ،١٤١).

صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين.

وحول أساليب القرآن الدعوية تأتي إجابات عن أسئلة هامة تتعلق بالأمثال القرآنية.

ومن النماذج على ذلك جوابه عن سؤال ورد إليه حول الآية رقم ١٥ من سورة محمد وكان السؤال: ورد المثل في هذه الآية بمعنى الوصف والبيان فما الذي بينه؟ وما السياق الذي اقتضاه؟

فأجاب يقول:الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد،،

فقد نزلت سورة محمد ﷺ في المدينة المنورة تقارن وتميز بين من آمن به ومن كفر ، تقارن بينهم في السلوك والعقيدة، وفي الجزاء والمصير، في الحياة وبعد الممات،فهي تبدأ بقوله سبحانه وتعالى: (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) (محمد:١ ، ٢) ، وضلال العمل أو صلاح البال جزاء دنيوي حيوي فما للضال عن سبيل الرشد والخير إلا الحيرة والقلق والاضطراب، وما صلاح البال إلا طريق الأمن والسعادة والمتعة والاطمئنان... وتزيدنا السورة بياناً عن الجزاء الدنيوي لكلا الفريقين فالنصر والعزة والتمكين للمؤمنين، والهزيمة

والتعاسة والشقاء للكافرين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) (محمد:٧ ، ٨) .

أما الجزاء الأخروي فتفصح عنه السورة في آيات عديدة منها قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ) (محمد:١٢) ، وفي هذا السياق يأتي هذا المثل في معرض الفرق الهائل بين من كان على بينه من ربه مدركا ما يرضيه متجنباً لما يبغضه، ومن كان عبداً لهواه، سالكاً طريق الفساد ظانا أنه سبيل النجاة والصلاح: (الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً) (الكهف:١٠٤) ، وذلك حيث يقول المولى سبحانه :

(أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) (محمد: ١٤) وهنا يقتضي السياق بيان ما يتمتع به الفريق المؤمن في الآخرة جزاء لما قدمه في الدنيا، وإذا كانت الآيات السابقة لهذا المثل قد أشارت إلى وصف الجزاء إجمالاً بأنه جنات تجرى من تحتها الأنهار فإن هذا المثل يفصـــل أنواع هذه الأنهار وما فيها مما لذ وطاب، ولم يخطر على قلب بشر تحقيقاً لوعده سبحانه حين قال:

(فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (السجدة: ١٧) إن الجنة التي وعد بها المتقون أولئك الذين وضعوا حجاباً حاجزاً بينهم وبين غضب الله فيها أنهار ليست كأنهار الدنيا، إن بعضها من ماء ولكنه ماء طيب صاف طاهر لا يتغير لونه أو طعمه أو ريحه بطول المكث كما يحدث لأنهار الدنيا، ولا تعلوه شوائب من زبد وجفاء، إنه ماء غير آسن، وفيها أنهار من لبن خالص سائغ لا يفسد ولا يتحول ولا يتغير طعمه، وفيها أنهار من خمر يتلذذ من يشرب منها دون أن يصاب بغول أو دوار، ولا يضيع له عقل أو

إدراك كما يحدث لمن يشرب خمر الدنيا، فيتخبط في مشيته وكلماته كمن مسه الشيطان فأطار رشده وصوابه، وفيها أنهار من عسل مصفى ليس فيه غبش ولا شوائب، هذه هي الأنهار التي تجرى تحت الجنات سهلة التناول يسيرة الشراب، أما ما في الجنات ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فيها من اللذات الحسية والمعنوية مالا تستطيع اللغة أن تعبر عن حقيقته فتكتفى بالإشارة إلى أسمائه، ففيها فاكهة ونخل ورمان، وفيها خيرات حسان حور مقصورات في الخيام كأنهن الياقوت والمرجان فيها حدائق وأعناب وكواعب أتراب، لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً، وجوههم فيها ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلا سلاماً سلاماً.

وأما اللذائذ المعنوية فالمغفرة والرضوان من ذى الجلال والإكرام، والتجليات الإلهية والنظر إلى الذات العلية، وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة، وجوه مسفرة ضاحكة مستبشرة.

سؤال: وهل يختص هذا المثل ببيان صفة الجنة وما فيها؟.

جواب: اشتمل المثل على بيان الجزاء الأخروي أيضا لمن كفر بمحمد وعمى عن آيات ربه فاتبع هواه فزين له سوء عمله، إن جزاءه الخلود في نار حامية يسقى فيها من عين آنية ليس له فيها طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع، طعامه الزقوم وشرابه الحميم، يصهر به ما في بطنه والجلود وله مقامع من حديد كلما أراد الخروج منها أجبر على العودة إليها، وقيل له ذق إنك أنت العزيز الكريم ذق ما كنت تكذب به رسل الله.

إن هذه النار ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر، لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا جزاء وفاقا، والمثل هنا يوجز وصف ما يلقاه هذا الفريق في قوله سبحانه (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي

وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) (محمد:١٥) .

هذا هو المصير الأليم والعذاب العظيم لمن ألغى عقله واتبع هواه: (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً) (الكهف:٢٩) .

وقانا الله وإياكم شر هذا المصير، وحشرنا مع المتقين في جنات النعيم.

وأيضا أجاب عن سؤال أخر يدور حول الأمثال الكامنة في القرآن والسؤال يقول:

في القرآن أنواع متعددة من الأمثال الكامنة تؤدي ما تؤديه الأمثال المصرح بها من العبرة والعظة، فماذا في قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) (الرعد:٣١) ، في هذه الآية الكريمة يصور الحق سبحانه وتعالى إصرار المشركين على الضلال والكفر والجحود، وانغلاق منافذ الإدراك لديهم، وتعصبهم لمعتقداتهم الباطلة، ورفضهم للقرآن مهما ظهر نوره، وبدا تأثيره، يصور ذلك بأن هذا القرآن لو نزل عليهم وبه خصائص المعجزات الحسية بحيث لو

قرئ على جبل لتحرك وسار، أو على أرض صلبة لتفتتت وتصدعت، أو على الأموات لتكلمت وتحركت، لو تضمن هذا الوحي تلك المميزات لما آمن به هؤلاء فقد أعرضوا وتولوا مدبرين، وختم الله على قلوبهم، وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولو شاء الله لهداهم ولجعل الناس جميعاً أمة واحدة ولكن الناس لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ، غير أنه سبحانه توعد هؤلاء الكفرة بالقوارع والصواعق تنزل بهم أو تحل قريباً من ديارهم، لعلهم يعقلون، ويتذكرون فيؤمنون، فإن أعرضوا فيظل حالهم على هذا النمط حتى يأتي وعد الله بهلاكهم أو هزيمتهم في الدنيا أو بفضيحتهم على الملأ في الآخرة والله لا يخلف الميعاد.

سؤال: ما وجه تأثر الجبال والموتى بهذا القرآن لو نزل عليهم؟

جواب: إن لهذا القرآن من الأسرار ما يحيى به الله القلوب الميتة، وينير به البصائر المعتمة، ويجذب به النفوس الشاردة، وحسبنا أنه قد انتزع من أعدائه إقرارهم: إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه، وقد عبر المولى سبحانه عن مدى تأثيره فوصفه بأنه روح وبأنه نور فقال سبحانه مخاطباً نبيه (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْأِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الشورى:٥٢) ، وتعجب من قسوة قلوب أعدائه التي صارت أشد قسوة من الحجارة وأقوى صلابة من الجبال، فهذا القرآن لو أنزله الله على الجبال لكان لها شأن آخر قال تعالى: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الحشر:٢١) .

فإذا كانت الجبال تهتز وتندك لتجليات الله ولوحى الله فما بال هذا الإنسان الجحود، إن هذا القرآن نوع من أنواع التجلى

الإلهي على قلوب البشر ولقد أوحى الله إلى موسى عليه السلام حين طلب من ربه أن يراه فقال تعالى: (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) (لأعراف:١٤٣) ، فهذا جبل نعرف صلابة صخوره وتماسك أحجاره حين تجلى له رب العزة تفتت واندك وتفرقت أجزاؤه وانهارت، وهذا إنسان جاحد تتزل عليه آيات ربه بأنوارها وتجلياتها فلا يتأثر ولا يخشع، وهذه هى طبيعة الكفر في كل زمان، فبنو إسرائيل كانوا كذلك وخاطبهم رب العزة بقوله: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (البقرة:٧٤) .

سؤال: كيف يصيب اليأس قلوب المؤمنين مع أن الله يقول: (يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) (يوسف:٨٧) .

جواب: نزل القرآن الكريم على سبعة أحرف اعتد فيها بأشهر لهجات العرب، وأورد في كتابه على هذه اللهجات بعض الكلمات المستعملة لدى هذه القبائل ومنها كلمة اليأس، فقد استعملها بمعنى الإحباط والقنوط في مثل قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (العنكبوت:٢٣) .

وقولــه: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣) ، واستعملها هنا على لغة هوازن بمعنى العلم فالمعنى هنا ليس الإحباط ولكن المراد أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً وذلك متفق مع قوله سبحانه: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأنعام:١٤٩) .

سؤال: توعد الله الذين كفروا في هذه الآية باستمرار القوارع والنوازل فهل كان ذلك مختصاً بكفار قريش أو هو عام في كل الكافرين؟ وما تطبيق ذلك على غيرهم؟

جواب: تعبير القرآن الكريم هنا بصيغة الاستمرار في قوله ولا يزال، وهذا يفيد أن ذلك ليس خاصا بقريش ثم هو لم يصرح بأنه يريد كفار مكة فقد استعمل صيغة العموم ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر:٤)

وإذا تأملنا في عصرنا الراهن ما يحدث الآن في محيط الكفر من النوازل والزلازل والبراكين والسيول والعواصف والجوائح المهلكة والأحداث المروعة فهمنا إشارة القرآن إلى الاستمرار حتى يأتي وعد الله إما بنصر الحق وأهله وانتشار الإسلام فيمنع الله بفضله العذاب كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (لأنفال:٣٣) ، وإما بوعد الله أن يجمع الناس ليوم لا ريب فيه إذا استمروا على كفرهم إلى أن يأتيهم الأجل وفي كل الحالات فإن الله لا يخلف الميعاد.

سؤال: ما العبرة التي يمكن أن نحصل عليها من هذا المثل؟

جواب: العبرة المستخلصة مما سبق إيراده ألا ييأس المؤمنون ولا يحزنوا على كفر الكافرين وما عليهم إلا البلاغ المبين بالحكمة والموعظة الحسنة، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الأنعام:١٦٤) ، ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص:٥٦)

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة:٢٧٢) .

ومن الله نستمد الهدى والتوفيق.

وأسوق إليك عزيزي نموذجاً ثالثاً أبدع فيه أستاذنا وتفنن، وهذا النموذج إنما هو جواب عن سؤال يدور حول المثل في الآية الخامسة من سورة الجمعة **والسؤال يقول:**

يبين هذا المثل موقف أنواع البشر إزاء الوحى الإلهي فما سياقه؟ وما مضمونه ؟

فأجاب فضيلته قائلاً:

الحمد لله،والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى أله وصحبه ومن والاه ...أما بعد،،

فقد جاء هذا المثل الرائع عقب حديث القرآن الكريم عن منهج رسول الله في أداء رسالته وتربية أصحابه حيث بعثه الله في الأميين وأول ما يحتاج إليه الأمي أن يتعلم وأول مواصفات المعلم أن يكون من بيئة المتعلم حتى يستطيع أن ينقل إليه المعلومة في يسر وسهولة من حيث إدراكه لما يجري في هذه البيئة وللطريقة الملائمة لتوصيل هذه المعلومات. ومن هنا كان النبي المعلم لهؤلاء

الأميين منهم من جنسهم، ومن بيئتهم يتكلم بلغتهم ويشعر بمشاعرهم، وكان المنهج أن يبدأ بإسماعهم كلام ربهم في تلاوة خاشعة متتالية تصل من أسماعهم إلى قلوبهم وعقولهم بردا وسلاماً وعلاجاً وطرد لكل وساوس الشيطان ولكل آفات النفوس، ذلك أن آيات الله في هذا الكتاب محفوظة بحفظ الله، وكل ما نزل من عند الله دون تدخل البشر فيه كامل ونافع ومفيد، يسمو بالنفس إلى آفاق الطهر والكمال، وبذلك يترتب على السماع والتلاوة أن تزكو النفس وأن ترقى في مدارج الصفاء، ثم يأتي بعد ذلك تعليم ما سمعه من الوحي كتاباً وسنة، والقرآن بهذا التوجيه يقرر أن التربية والتزكية تسبق التعليم دائماً وذلك قبل أن يتنبه إلى ذلك علماء التربية في العصر الحديث بأكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، فليس التعليم في الإسلام تلقينا ولا حشواً ولكنه رقى بالنفس بعد تزكيتها لتنتفع وتنفع بما تتعلمه، ولقد أثمر هذا المنهج النبوي حين استنبط منه أسلافنا برنامجا متكاملاً في تربية الأولاد الصغار وتعليمهم، فكانوا يرسلون أولادهم إلى مكاتب تحفيظ القرآن الكريم في سن الرابعة أو الخامسة قبل أن يتعلموا القراءة والكتابة فيسمعون من المعلم كلام رب العزة ويقلدونه في النطق فيتعود لسانهم على العربية الفصحى والأداء السليم لها وتزكو نفوسهم بما يسمعون، ثم ينتقلون إلى مرحلة التعليم لما سمعوه وما حفظوه فترسخ لديهم عقيدة الإيمان بحيث لا تستطيع شياطين الإنس أن تؤثر في انتمائهم لدينهم وعقيدتهم، وبعد ذلك فليتخصص من شاء في أي مجال من مجالات العلوم، وينبه السياق هنا إلى أن هذا المنهج النبوي ليس خاصا بعهد النبوة وإنما هو لكل العصور وكل الأجيال المسلمة إلى يوم الدين فيقول: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الجمعة:٣ ، ٤) .

ثم يأتي المثل منبها إلى ضرورة العمل بما يتعلمه المرء من وحي السماء حتى يؤتي ثماره المرجوة في سلوك الطريق السوي إلى حياة المجد والعزة والسعادة التي يعد بها رب العزة عباده الممتثلين لأوامره، ويضرب لنا المثل لمن أعرض عن العمل

والتنفيذ لإرشادات الوحى وما آل إليه من إفساد وظلم وطغيان فيضعهم في صورة حقيرة ساخرة حيث يشبه من أوتى التوراة ولم يعمل بما فيها من هدى ونور بل لجأ إلى تحريف نصها وتفسير هديها بما يتفق مع هواه وأغراضه الشخصية، ومع ذلك يفاخر بها صورة وشكلاً لا مضموناً وفهماً وتطبيقاً، ويعلن للناس أنه شعب متميز قد اصطفاه الله بأن أوحى إليه هذا الكتاب، يأتي المثل ليشبه هؤلاء بالحمار الذي يحمل على ظهره كتبا قيمة فيها فوائد جمة يمكن أن تهديه إلى طريق النجاة مما أمامه من أخطار، غير أنه لم يقرأ ما فيها ولم يسترشد بهداها فصارت عليه حملاً وعبئاً وثقلا ينتقل بها من مأزق إلى مأزق ومن عقبة إلى التي تليها وهو لا يدري كيف يتخلص من هذه العقبات، وإذا كان للحمار عذر في أنه لم يؤهل للقراءة في هذه الكتب فما عذر هؤلاء وهم من ذرية آدم الذي فضله الله على الملائكة بقبول التعليم وباستعداده للتعليم، إنهم بذلك يكونون أسوأ حالاً من الحمار.

سؤال: وهل هذا المثل خاص بمن أنزلت عليهم التوراة؟

جواب: إن القرآن في سياقه لهذا المثل لم يجعله خاصاً بمن أنزلت عليهم التوراة بل جعله مثلاً عاماً لكل من أعرض عن وحى الله وكذب بآياته ولم يثق في إرشاداته فظلم نفسه وظلم الوحى الذي يحمله وينتسب إليه فكان تعبير القرآن عن هذا المثل وعمن يتحقق فيهم وصفه هو قوله : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (الجمعة:٥) ، وبذلك ينطبق على كل من يهمل في وحى الله ويهجره أو يحرفه أو يعرض عنه، فالمسلم الذي لا يتلو القرآن أو يتلوه ولا يتدبره أو يتدبره ولا يعمل به، ولا ينفذ ما يدعو إليه كل هؤلاء يخضعون تحت مسمى هاجري القرآن أولئك الذين سيشكو رسول الله أمرهم إلى ربه يوم القيامة، قال تعالى: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً) (الفرقان:٣٠) ، ويصف القرآن من لا

يتدبره بأنه وضع أقفالاً على قلبه حجبته عن هذا الخير العظيم قال تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد:٢٤) .

وعاب على من يقول ولا يفعل فقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ) (الصف:٢ ، ٣) إن القرآن نور وحياة بدونه يعيش المسلم في ظلمة الموت وصدق الله حين قارن بين من يعمر قلبه بآيات الله ومن يهجرها بقوله: (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام:١٢٢) ، إن كثيراً من المسلمين يحملون القرآن في جيوبهم ويحتفظون به في بيوتهم ظانين أن ذلك يحفظهم من أذى الشياطين والحريق والأذى ولا يقرأونه أو يسمعونه إلا في مناسبات الموت أو الحفلات إن هؤلاء ما أشبه حالهم بالذين حكى عنهم المثل القرآني وشبههم بالحمار يحمل أسفاراً .

ذلك أن هذا القرآن يرفع تلك الأمة إلى مستوى سامٍ من الرقي والمجد لو التزمت بكل ما فيه وأعرضت عمن يشكك فيه وجعله لها منهجاً ودستوراً وحكماً وميزاناً.

جعله الله لنا نوراً في قلوبنا، وفي قبورنا، ويوم نلقى ربنا إنه سميع مجيب.

لقائي بالدكتور/ محمد المختار محمد المهدي

إن الدكتور/ محمد المختار محمد المهدي من الأعلام الذين يتميزون بقدرة فائقة على الاجتهاد والاستنباط، كما أنه إمام من أئمة أهل السنة، الذين يقومون بدور بارز في مجال الدعوة الإسلامية، والعمل على نشرها في ربوع الأرض.

وقد سمعت كثيراً عن هذا الشيخ الفاضل، وكان الجميع يصفونه بأبلغ أوصاف الشكر والثناء، تقديراً لجهوده في مجال العلم والدعوة وحين اقتربت منه وعرفته أكثر والتقيت به ألفيته زاهداً، عفيفاً، تقياً، نقياً، سخي الكف، أحسبه كذلك ولا أزكى على الله أحداً، وقد أفادني كثيراً فيما يتعلق بالموضوعات التي دار الحديث فيها بيني وبينه، وعندما تكررت اللقاءات بيننا لم يتوان لحظة واحدة عن مساعدتنا ودراسة قضايانا بجد واجتهاد منقطع النظير، ولمست فيه بحق الروح العلمية والأخلاق السامية التي تركت في نفسي أثراً بالغاً في التعلق به بمجرد الاتصال، إذ إنه من القلة الذين وهبهم الله علمًا واسعًا، وفكرًا مستنيرًا.

وعندما التقيت به ، وعرفته بنفسي، فأحسن ضيافتي وشرحت له الوضع في كوسوفا والبوسنة وتبادلنا الآراء والأفكار وقدمت له بعض المعلومات عن المسلمين في منطقة البلقان.

ومن خلال لقائي الأول به لمست أن هذا الرجل يتمتع بفكر مستنير، وخبرة واسع من الثقافة والعلوم، كما أثرت شخصيته في نفسي وشعرت بقيمة هذا المفكر ودوره المؤثر في النهضة بعالمنا الإسلامي.

وعندما زرته وجدته يمتلك مكتبة علمية ثقافية تزدهر بأنفس الكتب وأعظمها في مجال التراث الإسلامي، مما جعل رأسه عبارة عن مكتبة زاخرة وعامرة بالمعلومات القيمة والمفيدة في أى مجال، بما يجعلنا ندرك مدى تفهمه العميق لقضايا العالم الإسلامي ومعايشتها روحاً وعقلاً.

وعلى الرغم من هذه المنزلة العلمية العالية إلا أن هذا العالم الجليل يتمتع بالروح المتواضعة والأخلاق الرفيعة تصديقاً

لقولـه- ﷺ- (من تواضع لله رفعه) وكأني أشعر أمام هذه الشخصية القديرة بأني أمام تطبيق عملي لهذا الحديث الشريف يتمثل في هذا الرجل العظيم.

ولا تزال الاتصالات قائمة بيني وبينه بل تعمقت العلاقات أكثر في ظل الظروف الحالية رغم ثقل مسئوليته بعد توليه إمامه أهل السنة ورئاسة الجمعية الشرعية، نسأل الله تعالى أن يبارك لنا في عمره خدمة للإسلام والمسلمين كي يستفيد من علومه ومعارفه القاصي والداني.

والله هو الهادي إلى سوء السبيل

أحاديث دينية إذاعية للأستاذ الدكتور/

محمد المختار المهدي

نظراً لما يتميز به هذا المفكر الجليل من براعة في الأداء، وأسلوب فياض وعلم غزير، أذاعت له المحطات المحلية في جمهورية مصر العربية وفي الإذاعات العربية المسموعة والمرئية العديد من التسجيلات الإذاعية التي كان يقوم بها فضيلته ابتغاء وجه الله ونشراً للدين الإسلامي والدعوة إلى الله، ومن النماذج على ذلك حديثه الذي أذيع في فقرة(حديث المساء) والذي يحمل عنوان: (الرقابة الإلهية ميزان العمل المثمر). حيث قال سيادته في تسجيله:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد،،

فحينما يكون الإنسان رقيباً على مجموعة من العاملين فإنه قد يجد صعوبة في متابعة كل عامل فيما يباشره وبخاصة إذا كانت نوعيات العمل متباينة، وخبرة الرقيب محدودة بنوع من التخصصات، ومن هنا يستطيع بعض العاملين أن يخدعوا رقيبهم وأن يظهروا له جدهم ونشاطهم دون إنتاج حقيقي أو تحصيل يكافئ هذا الجد السطحي الظاهر، ومهما خاف العامل من رقيبه فإنه يستطيع أن يغافله ويتباطأ فينجز في أسبوع ما يمكن أن ينجزه في يوم واحد، تلك طبيعة الرقابة البشرية، أما رقابة الله عز وجل فهي لا تقبل المقارنة أو الموازنة، أنها هناك في مكانها الأسمى الذي لا يتطاول إليه بشر، أنه ليس رقيباً على مجموعة محدودة من العاملين بل أنه رقيب على الخلق أجمعين: العامل والنائم، الجالس والقائم، البعيد والقريب، الصغير والكبير، الإنس والجن، الحيوان والنبات والجماد، الرقابة شاملة، (سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار)، إنه مع الإنسان في خلوته وانفراده، يعلم ما يخطر بباله قبل أن يبرزه، ويعلم طاقاته وما يمكن أن يفعله، لا يستطيع أحد أن يخدعه أو يغافله، لا تأخذه سنة ولا نوم، وعقوبته ليست مما يحتمل، إنها ليست خصم يوم أو أيام، فبيده

وحده نزع الروح وقبض الرزق وسقم النفس ومرض الجسم وشل الحركة، وهو مع الجماعة صغرت أو كبرت يحصى عليهم ما يقولون وما يفعلون، وقد يعفو عن الكثير ولكن كل شئ مسجل ومرصود، " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد "، إن المجرم يصرخ مندهشاً، ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وهناك في اليوم الموعود يوم المناقشة والحساب تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين، وليست شهادة الألسنة والأيدي والأرجل بلازمة للإثبات ولكنها مزيد من التبكيت وإلا فالله بنفسه هو الرقيب وهو خير الشاهدين، (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شئ عليم).

وبناء على كل هذه الحقائق يتعامل المسلم في حياته، في كلامه، في عمله، في نومه، في مطعمه ومشربه، إنه يرى الله دائماً أمامه يراقبه ويخشاه، وهو لا يراه بحواسه، فإدراك الحواس قاصر عاجز محدود بالأجرام محدود بالمدركات، محدود بالطاقة الكامنة في تلك الحواس ومن هنا كان القلب أنفذ في الإدراك، أن من الموجودات ما لا تدركه الأعين كالجاذبية والكهرباء مع تأثيرها الفعال في دنيا الناس وأذن فليست العين هى الميزان، وإنما هو الجنان حين يكون مكتمل الإيمان، وبالله التوفيق والسداد.

ونجد له حديثاً مسجلاً ضمن فقرة (حديث الصباح) بعنوان: (من أسرار الشعائر) وقد قال فيه :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله ومن والاه، أما بعد،،

فإن التزود للسفر إلى مشاعر الحج وهو سفر مهما طال قاصر وقصير، لابد له أن يترك في نفس المؤمن ذكرى السفر البعيد الذي لا ينفع فيه مال ولا رجال ولا زاد ولا رواحل ، ولا جاه، ولا رصيد في المصارف أو الشركات ، ولا شئ من متع هذه الحياة، إنما هو القلب السليم والعمل الصالح المبرور، ومن هنا

جاءت وصية القرآن الكريم في أثناء الحديث عن مشاعر الحج وأعماله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ (البقرة:١٩٧).

إن مرور الحاج بالميقات وخلعه لزينة اللباس والتزامه بملابس الإحرام، ورفعه لشعار التلبية يذكر أي إنسان مهما طبعت المادة على قلبه، ومهما نسى نفسه في خضم المناصب، أنه إلى مثل هذه الأكفان البيضاء يصير لا منصب معه ولا مال، وبمثل هذا النداء يمضى لاهثا إلى ربه يوم الجزاء، إنه الآن يلبيه اختياراً ويسعى إلى رحابه إيماناً، وهو هناك قد يلبيه قسرا واضطرار، النار من ورائه والشمس حارقة من فوق رأسه، وموقف الحساب الرهيب يملك عليه كل جوانبه.

أنه يلتزم حين يحرم بأن لا رفث ولا فسوق ولا جدال ولا خصام ولا حقد ولا شحناء، جميع الناس حوله أصدقاء، لا يكلمهم إلا باللطف والرحمة والتكريم، الصغير يحترم الكبير، والكبير يحنو على الصغير، وإذا خالف فقد ضاع جهده هباء وكان حجه بلا ثواب، إنه فيما عدا الرفث هو السلوك السليم والنمط الرفيع الذي يريده الإسلام من كل مسلم في تعامله مع إخوانه المسلمين طول حياته، وهذه الفترة ما هى إلا تعويد وتمرين، وهو تمرين قد يكون شاقاً مع الزحام واختلاف البيئات والأفهام، لكنه ضروري في جو العبادة وتحمل المشقة فمن قدر عليه في هذه الظروف فهو عليه أقدر في حياته العامة وفي بيئته المتجانسة.

إن عملية الإحرام تلك بواجباتها ومقتضياتها وملابسها تغير مسار المؤمن مظهريا ونفسياً وتعينه على مراجعة حياته وتصرفاته ومعاملاته وفق متطلبات هذا الشعار، (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) وإن طواف المؤمن بالكعبة التي يتجه إليها كل يوم خمس مرات ليوحد أقطار نفسه ويشعره بأهمية الالتزام بمنهج الأنبياء الذين طافوا

حول هذا البيت الحرام، وإن استلامه للحجر الأسود أو الإشارة إليه في كل شوط ما هو إلا معاهدة بين المرء وربه ألا يحيد عن المنهج يعيش له ويموت عليه، وإن السعى بين الصفا والمروة ليذكر المؤمن برحمة الله ورعايته لمن يلجأ إلى حماه، كما حدث مع هاجر أم إسماعيل وهى تبحث عن قطرة ماء لوليدها ساعية بين هذين الجبلين فإذا برحمة الله تتولى تفجير زمزم عند قدمي هذا الغلام الطاهر المبارك وصدق الله ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً﴾ (طـه:١١٢)

آيات نزلت في رمضان للدكتور/

محمد المختار المهدي

في شهر رمضان الكريم فاضت تجليات الرحمن على الأستاذ الدكتور/ محمد المختار بسحائب من الرضا والقبول، فوفقه الله لأن يسجل عدداً من الحلقات الممتعة تدور حول الآيات القرآنية التي نزلت على رسول الله في شهر رمضان، وقد أذاعتها إذاعة القرآن الكريم ليعم نفعها ويصل خيرها وبرها إلى الناس أجمعين.
وأنا أسوق إليك من هذه الحلقات الإبداعية نموذجين:

الأول: يقول الدكتور/ المختار، قال تعالى: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (البقرة: ١٩٦) ، في مسير رسول الله ﷺ إلى مكة المكرمة مستهدفاً أداء العمرة في شهر رمضان من السنة السادسة الهجرية فيما عرف بعام الحديبية رأى رسول الله ﷺ كعب بن عجرة البلوي محرما ورأسه يؤلمه من كثرة الهوام، فقال له: هل تؤذيك هوامك يا كعب؟ قال: نعم يا رسول الله . قال: فأحلق رأسك، وفيه نزل قوله تعالى: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا

رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (البقرة:١٩٦) فأمره النبي أن يذبح شاة أو يصوم ثلاثة أيام أو يطعم ستة مساكين كل مسكين مدين، أى ذلك فعل أجزاه.

والمناسبة التي نزلت فيها تلك الآية تجعلنا نستنبط ما يأتي:

أولاً: الإسلام دين يسر وسهولة لا يرضى الضرر لأتباعه ولا الحرج ولا المشقة (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً) (النساء:١٤٧) ، فهذا الصحابي أحرم بالعمرة مع النبي ومن مقتضى الإحرام، ألا يحلق شعره لكن الهوام التي تجد لها مأوى تحت الشعر قد انتشرت في رأسه وصار يتألم من ذلك ويصبر حتى لا يخدش إحرامه وحتى ينال الثواب كاملاً، وتأتي رأفة رسول الله ورحمته بأن يأمره بحلق رأسه فهذا هو المبدأ العام في الإسلام (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (البقرة:١٨٥) ،و تأتي الآية مقننة لهذا الحكم مرشدة لكيفية التخلص من الضرر مع نوال الثواب كاملا بأداء الفدية الاختيارية بين الصوم والذبح والصدقة جبرا لهذا النقص الذي لم يتعمده صاحبه.

ثانياً: سلوك رسول الله ﷺ في تفقد أصحابه أثناء السفر للوقوف على أحوالهم وما يحتاجون إليه ورفع ما يجدونه من حرج أو مشقة ،مما يتطابق مع وصف القرآن الكريم في قوله سبحانه : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (التوبة:١٢٨) ، فالرسول ﷺ يعز عليه عنت الأمة، وهو حريص على الأمة وعلى تقدمها وازدهارها، وهو في قيادته لها رؤوف رحيم، وعلى من يؤمن برسول الله محمد ويرجو الله واليوم الآخر أن يلتزم هذا السلوك الراقي والذي من شأنه أن يقوى الصلة والمودة بين الراعي والرعية وبين الرئيس والمرءوس وبين الأب وأبنائه فهذا هو طريق الهدي والرشاد، قال ﷺ : (ما وجد الرفق في شئ إلا زانه وما انتزع من شئ إلا شانه).

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً) (النساء:٩٤) .

حين هم الرسول ﷺ بفتح مكة بعد أن نقض أهلها العهد، أراد صلوات الله وسلامه عليه أن يكون هذا الفتح سلميا يتحاشى إراقة الدماء، فأخفى مقصده وجعله سرا لا يعرفه إلا أقرب المقربين وزيادة في التمويه أرسل سرية يقودها أبو قتادة بن ربيعةالأنصاري إلى بطن إضم وهى على ثلاثة برد من المدينة وكان ذلك في أوائل رمضان عام الفتح ليظن من يرى هذه السرية أن النبي متوجه إلى تلك الناحية فتذهب بذلك الأخبار إلى أهل مكة فلا يستعدون للنزال ، فلقى هذه السرية عامر بن الأضبط الأشجعى فسلم عليهم بتحية الإسلام، فسارع إليه أحد أفراد السرية وهو محلم ابن حثامة الليثى

فقتله وأخذ بعيره وسلبه ثم لحقوا برسول الله فأدركوه بالسقيا، وفي ذلك نزلت هذه الآية.

من المناسبة والتوقيت وما اشتملت عليه الآية نلحظ ما يأتي:

أولاً: حرص رسول الله ﷺ على نشر الرسالة وسيادة العدالة في جو من السلام والأمن يتجنب فيه المسلمون إراقة الدماء، ولذلك أخفى وجهته ليباغت أهل مكة قبل أن تدفعهم العصبية والحمية الجاهلية إلى تجميع قواهم وأحباشهم فتكون معركة حامية تسيل فيه دماء الجانبين.

ثانياً: يرضى الإسلام بالظاهر والله يتولى السرائر وهو الرقيب على ما في القلوب ولذا كان دخول الإسلام بالشهادتين ينطقها اللسان سواء عبر عما في القلب أم كان قائلهما منافقاً، وهذا الرجل الذي لقى السرية فسلم عليها بتحية الإسلام كان ينبغي حقن دمه ومبادلة السلام بالسلام لكن بعض أفراد السرية تعجل وأسرع بقتله، والاستيلاء على بعيره وما معه، من أجل هذا جاءت الآية لائمة عاتبة ناهية حاسمة مذكرة محذرة.

ثالثاً: الأرزاق بيد الله وحده، (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (الأنعام:٥٩) ، (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده)، بيده مقاليد السماوات والأرض، عنده مغانم كثيرة بطرق مشروعة فلا ينبغي للمسلم أن يتعجل الرزق بطرق مشبوهة أو يسترسل في استشراف النفس إلى المزيد من الأموال تأميناً للمستقبل فالمستقبل بيد الله وحده: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (لقمان:٣٤) .

تـذنيب:

وهـذا كلـه إن دل علـى شـئ فإنمـا يـدل علـى أن الأسـتاذ الدكـتور/ محمـد المخـتار مـن أصـحاب العقـول السـليمة، والـنظرة الفاحصـة الواعية ، الملم بشتى التيارات، يضـاف إلـى مـا تقدم من أحاديثه الإذاعية التي كان يقدمها في الإذاعة عشرات من تقدمات، تقدمـة لـتلاوة القـرآن الكـريم، فهـى أيضـا تـدل علـى تبحره وسـعة خاطره في الغوص على معاني القرآن الكريم.

وأخيراً أختم كلامي عن هذا الموضوع بذكر مقالتين هما فـي غايـة الـروعة والإبداع والجمـال، إحداهما بعنوان:(الحكمة من الصيام) حيث يقول فيها الدكتور / المختار:

الحمـــد لله والصـــلاة والســـلام علـــى رســـول الله. أما بعد،،

أيها الأخوة المؤمنون: ما أكثر أحاديث الدعاة عن حكم الصيام وآثاره التربوية والاجتماعية والصحية، غير أن المتأمل في أسلوب القرآن الكريم عندما يتعرض للعبادات عموماً يجد أنه يحفل كثيراً بالغذاء الروحي المستهدف من وراء هذا الأمر، فالعبادة في حد ذاتها تعبد النفس وتصقلها وتهيئها لتلقى الفيوضات الربانية، أنها تزكى شعورها وتهذب من غرائزها، وتنهاها عما لا يليق بها في هذا المستوى الرفيع الذي أحلها إياه، ففي الصلاة مثلاً معنى الخضوع والصلة بالله عز وجل ، تلك الصلة التي تجعلها تؤثر في سلوك الفرد فتأمر النفس أن تترك كل ما يشدها إلى الأرض وآلهة الأرض وتنهاها عن الفحشاء والمنكر، وفي الزكاة معنى الطهر والتسامى فوق تحكم المادة، وفيها معنى قهر النفس في طمعها وتكالبها على المال وحرصها على نمائه (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (التوبة:١٠٣) وفي الحج معنى القصد الخالص والنية الصادقة للتوبة والسعى

لتحصيل ما يقى الإنسان من غضب الله، ومن هنا أتى هذا الأمر الكريم في معرض الحديث عن فريضة الحج: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ) (البقرة:١٩٧)

كذلك الصيام حدد الأسلوب القرآني حكمته وهدفه بأن القائم به في صدق وإخلاص قد وضع قدمه على أول طريق الرجاء لتحصيل التقوى، وللصيام مع التقوى مزيد صلة فهو تدريب عملي للمرء على مراقبة من لا يراه، قد يبدو المرء أمام الناس صائماً ثم يختلى وحده ويأكل ما يشاء، ما يمنعه من ذلك إلا التقوى ومن هنا يقول الله تعالى في حديث قدسي:(**الصوم لي وأنا أجزي به**) كما أن للصوم مع الصبر مزيد صلة، فلولا الصبر ما قام مؤمن بطاعة، وما انتهى عن شهوة وما نهى النفس الأمارة بالسوء، وما تقبل قضاء ربه بنفس راضية، يقول النبي ﷺ: (**الصوم نصف الصبر، والصبر نصف الإيمان**) ولما كان للتقوى والصبر أهمية خاصة في تقويم النفس البشرية وكان الصوم هو الوسيلة الناجحة لهما فرضه المولى تبارك وتعالى على كل الأمم والأجيال السابقة فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة:١٨٣)

ولما كان في الصوم مشقة تنفر منها النفس التي ترغب في تحصيل مشتهياتها كانت فرضيته بأسلوب الكتابة القاهر:

هكذا كتب والأمر الكتابي له ما ليس للأمر الشفوي، أن الحساب على الأمر المكتوب لا يفلت منه مأمور بأى حيلة، ولا يجدى معه أى إنكار، والكتابة هنا قهرية فهى عليكم لا لكم تماما كما عبر القرآن عن القصاص والجهاد، ذلك أن الثلاثة فيها ما يشجع النفس على النفور، كما أن الصوم أمان للنفوس من غوائل الشهوة والقصاص أمان للمجتمع من أعداء الحياة، والجهاد أمان للأمة من أعدائها المتربصين بها خارج الحدود ولا كيان لأمة ليس فيها هذا

المثلث العظيم ومن هنا اتحد التعبير عنه في كتاب الله عز وجل (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (البقرة:٢١٦) .

والثانية بعنوان: (التوبة صيانة وتزكية) وقد قال فيه:

ما أحوج هذه النفس الإنسانية إلى أن تؤوب إلى صانعها وبارئها بين الحين والآخر، يجرى لها عملية الصيانة، يهدهد من آلامها، ويقيل من عثراتها، وينقذها من وطأة الصراع بين المثال والواقع، ويسمو بها إلى ما يمكن للبشر من آفاق الخير والطهر والكمال، كم من أناس قد زلت بهم الطريق وضحك عليهم الشيطان فسقطوا في الأوحال، ولم ينهضوا منها شعوراً بالخزى والعار، وبدل أن يحاولوا القيام من الكبوة إذا هم يستمرئون هذا العار، ويتبجحون بالإجرام، إلى أن يوردهم موارد التهلكة والدمار، ولو علموا أن رحمة الله قد وسعت كل شئ وأن بابه مفتوح وكرمه عظيم في استقبال العاصي والفاسق لتفلتوا من قبضة الشيطان، ولفاءوا إلى حمى الرحمن : (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً) (النساء:٨٤)

لقد أمر رسوله الكريم ﷺ أن ينقل إليهم نداء الرحيم الودود، ألا يصيبهم يأس أو قنوط مهما أصابوا من خطايا: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر:٥٣) ، وحكم بالكفر والضلال على من يستجيب لهذا اليأس من رحمة الله: (يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ

وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) (يوسف:٨٧) (قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) (الحجر:٥٦) .

أيها المستمع الكريم: لقد آلى الشيطان على نفسه أن يغوى البشر أجمعين، فاستجابت له ضعاف الشخصية ومنها رو العزيمة حتى صاروا معه كالخاتم في إصبعه يحركه كيف يشاء، وتأبى عليه عباد الله المخلصون حتى يئس من إغرائهم، فركز معظم جهده على من يحاول الوصول إلى الكمال، يحيط بهم ويبحث عن نقاط الضعف فيهم ويظل في تطواف مستمر، لا يني ولا يلين حتى يدرك منهم ما يظن أنه يخفف من حرقة اللعنة والغضب، وما يحقق به ما توعد حين قال: (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) (الأعراف:١٧) ، وبهذه الخطة لا تكاد ترى مؤمناً قد نجا من مسه ووسوسته إلا من عصم الله، ومن هنا يتعامل الإسلام مع الإنسان، وفي حسابه موقف الصراع الإنساني بين دوافع الخير والكمال، ونوازع الشر والفساد، إنه إنسان وليس ملكاً من أجل هذا لم تسقط صفة التقوى في نظر الإسلام بمجرد وقوع المسلم في الخطأ، إنه مؤمن تقي ولو هبطت به المعصية فظلم نفسه، وأسرف عليها، كل ما عليه أن يسرع في القيام من سقطته مستغفرا من ذنبه، نادما على فعله مصمما على ألا يعود إليه : (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (الأعراف: ٢٠١)

(إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى

إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً) (النساء:١٧ ، ١٨) .

والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، (إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين).

دوره في خدمة قضايا العالم الإسلامي

لقد سخر الأستاذ الدكتور/ محمد المختار المهدي حياته وقلمه وفكره للدفاع عن الإسلام على المستوى الفكري، بتوضيح صحيح الإسلام والبعد عن الغلو والتطرف، وعلى المستوى السياسي بكشف محاولة الغرب الآن لتشويه صورة الإسلام، وأنه العدو الجديد بعد سقوط الشيوعية في الاتحاد السوفيتي.

كما أنه يتصدى لمؤامرات الصهيونية وإزاحة النقاب عن وجهها الحقيقي، كما أنه دائما ما يقوم بإبراز أوضاع العالم العربي والإسلامي وما فيه من انقسامات لا يستفيد منها إلا الأعداء، الذين يمتصون دماء العالم العربي، ويأكلون ثرواته باختلاف المشاحنات والخلافات بين أبناء العقيدة الواحدة.

وعلى كل هذه الجبهات يقف هذا المفكر ليوضح معالم الطريق، ويبرز الصورة ويوضحها، وينبه على ضرورة أن يفيق العرب والمسلمون من سباتهم حتى لا يقعوا في مخالب الآخرين، وحتى لا يفقدوا استقلالهم وحرياتهم وهم غافلون عما يدبر لهم من وراء الستار.

فالأستاذ الدكتور/ محمد المختار المهدي قام بجهود بناءة، وأسهم في خدمة قضايا المسلمين والتحليل الدقيق لأوضاعهم وما ينبغي أن يعوه عن أعدائهم، لنستمع إليه وهو يقدم لنشره التبيان التي يرأس تحريرها وتعبر عن فكر الجمعية الشرعية تحت عنوان: (كيف نقضى على ازدواجية التعليم).

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٢-٤].

تشيع في بعض الأوساط الإعلامية في الفترة الراهنة الدعوة إلى توحيد التعليم وإصلاح مناهجه، وتنقيتها مما يدعو إلى العنف، مدعين أن التعليم الديني هو الذي يساعد على ذلك وينادون بتجفيف المنابع، واستجابت بعض الدول الإسلامية- للأسف- إلى هذا المطلب فألغت التعليم الديني في مرحلة التعليم الأساسي وافتخرت بذلك.

وحين نستقرئ الوحى المقدس، والكتاب المنزل، والهدى المنزه نجد المنهج الأرشد وهو يحدد مهمة رسولنا المعلم في تربية الأميين في هذه الآيات البينات، ويتلخص هذا المنهج في أن نتعاهد النشء الأمي بإسماعه كلام الله المؤثر في الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فتزكو بهذا السماع روحه، ثم بتعليمه معنى ما سمع ثم ينطلق إلى آفاق التخصص الدقيق بعد أن يكون قلبه قد استضاء بنور القرآن ورسخت فيه عقيدة الإسلام بما لا يدع مجالاً لتزيين الإلحاد أو الانحراف، وكما كان ذلك مطلوباً في عصر المصطفى والصحابة هو مطلوب بنفس القدر في كل الأجيال اللاحقة فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومن حاد عنه فهو في ضلال مبين.

ويدعونا ذلك اليوم إلى نظرة الإسلام إلى التعليم ومجالاته ومناهجه التي لا يتأتي معها عنف ولا ازدواجية، وإنما تسير معها الوسطية والاعتدال أينما سارت.

إن مناهج التعليم في أى أمة هى مرآة أهدافها، وعنوان مستقبلها فبماذا حدد الإسلام هذه المناهج؟ وما مجالات التعليم في عرف الإسلام؟

لكي نستطيع فهم هذا وذاك لابد من إدراك حقيقة إيمانية تهيمن على هذه المناهج وتلك المجالات، ذلك أن الإطار العام الذي يحكم المادة العلمية في الإسلام هو عقيدة التوحيد فهى التي تحدد غاية العلم ووسيلته... فأما الغاية فهى تحقيق تواؤم الإنسان وانسجامه مع جميع الكائنات في الخضوع للبارئ وخشيته، والعمل لإرضائه ومحبته، فكل المخلوقات في هذا الكون تخضع وتسجد طوعاً أو كرهاً ،وتحقيق هذا الانسجام يجعل ثمرات العلم الإنساني تشمل بخيرها جميع الكائنات، فالباحث في أسرار الكون ونواميسه

لا يمكن أن يتطرق إلى ذهنه غرض خبيث في تدمير الحياة فهو جزء منها، كما أن الأخوة الإنسانية تمنعه واشتراكه في الخضوع للخالق الأعظم تجعله لا يمكن أن يستغل اكتشافه في القضاء على شيئ يسجد لله معه فإذا ما دعت ضرورة الجهاد إلى صنع سلاح مدمر فإن استعماله يظل محكوماً بهدف الدفاع المشروع ومنع العدوان بحيث لا يتعدى ذلك إلى التدمير ومن هنا يمنع الإسلام قطع الأشجار وهدم البيوت وقتل الأطفال والنساء والرهبان، وأما الوسيلة فهى بذل أقصى الجهد مع طلب العون والتوفيق ممن بيده مقاليد كل شئ، ندرك ذلك من اقتران الأمر بالقراءة في أول آية نزلت من الكتاب العزيز باسم: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق: ١) .

ولكن هل حدد الإسلام مجالات العلم؟ أن هذا الدين قد أطلق العقل من أغلاله ودفعه دفعاً ليفكر ويتأمل ويتدبر ويستخرج ويبدع ما دام محكوماً بهذا الإطار، بل إنه حين رفع مرتبة العلماء إلى مستوى يجعلهم أحق الناس بخشية الله جعل ذلك في ختام حديثه عن لفت الذهن البشري إلى أوجه الاختلاف في أنواع المخلوقات، وحثه أن يتعمق في علوم الطبيعة والجيولوجيا والأحياء، نلمس ذلك واضحاً حين يصف ظواهر الكون التي تمثل الكتاب المرني المفتوح لكل ذي عينين فيقول: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) [فاطر: ٢٧، ٢٨] وعقب ذلك مباشرة يتحدث عن الكتاب المقروء الذي يصدق ما يشاهده المرء في الكتاب المنظور فيرفع شأن التالين له العاملين به ويجعل تجارتهم لن تبور ويجعلهم أهلاً لفضله ورحمته، ثم يتحدث عن علماء الدين الذين هم ورثة الأنبياء الذين اصطفاهم لحمل أمانة التعليم وتبليغه فـيقول: (ثُمَّ

أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) (فاطر:٣٢) .

بهذا المساق المتكامل والسرد والمتتابع لعلوم الدنيا ومهمتها وعلوم الدين وأهدافها، لأنواع المعارف والعلوم في إطار الاتساق والتلاحم بين جميع المجالات لا يمكن أن تتأتي ازوادجية التعليم في المجتمع المسلم، بل إن التخصص العلمي في مجال معين ضمن إطار العقيدة الواحدة، هو الهدف والغاية، فهذا عالم جيولوجي يكشف عن أسرار الخلق وبدائعه، وهذا عالم ديني يكشف عن أسرار آيات الله وتشريعه، ولكل مجاله العلمي المحدد ومطلوب من الجميع أن يتعاونوا في ضوء قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (النحل:٤٣) .

هذا هو الإسلام في منهجه وغاياته ووسائله أما المسلمون اليوم فإننا نرى في كثير من مجتمعاتهم انفصالية شبة تامة بين دارسي الدين ودارسي العلوم الحديثة، وإذا فتشنا عن أسباب ذلك نفاجأ بأنها ثمرة لعدة عوامل: منها التقدم المادي للغرب وانبهار الأمة بالنهضة العملاقة التي قامت أولاً على أكتاف العلماء المسلمين في مجال الحضارة المادية بمعطياتها وبريقها.

والثاني: التقليد الأعمى للغرب الذي صار قوياً ونسيان القيم التي تحكم النهضة الإسلامية.

والثالث: سعى أعداء الإسلام إلى فصل الدين عن مجالات الحياة.

وقد أدى ذلك إلى كثرة أنصار العلم المادي وتفتح مجالات المناصب ومواقع النفوذ والتأثير وظهور فرية انفصال الدين عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فهل يكون العلاج عن طريق التوسع في إنشاء مكاتب تحفيظ القرآن على مستوى حضاري؟

أو عن طريق نشر المعاهد الدينية النموذجية الخاصة وإتاحة الفرصة لأبنائها في تولي التوجيه؟ ومع فاعلية هذين الطريقين لا أظن ذلك كافيا، فالبداية الحقيقية ينبغي أن تكون بالعناية بحفظ القرآن الكريم في مرحلة التعليم الأساسي في جميع المدارس والمعاهد حكومية أو خاصة مع إعطاء النشء في هذه المرحلة زاداً روحياً ومعرفة بقيم الإسلام ومبادئه وأخلاقه ثم بعد هذه المرحلة يتخصص من يريد في أى مجال علمي يختاره دينياً أو دنيوياً.

وهذا ما أرشدت إليه الآيات التي تصدرت هذا المقال، وحينذاك لن يكون هناك ازدواجية في التعليم ولا فجوة بين المتعلمين ولا مجال لاختراق المبادئ والثوابت الأساسية لهذا الدين ولقد أثبت حافظ القرآن على مدى التاريخ الإسلامي كله كفاءة نادرة وسلوكاً مثالياً رائعاً والعظماء في أى مسيرة علمية حتى في عصرنا الحديث سنجد معظمهم من حفظه كتاب الله، وليس هذا بغريب فما وجد القرآن في قلب مسلم إلا عمر بالإيمان واتجه باندفاع إلى هدفه مستعيناً بالله صابراً على الكفاح حتى يصل إلى غايته.

وتلك هي البداية الصحيحة وإن كانت تحتاج إلى جهد وإخلاص وتجرد لمصلحة الأمة... إن ذلك هو الطريق وهو الأمل. ولنقرأ له في ختام كتابه عن حقوق الإنسان.

وإننا لنرجو من الضمير الحر للبشرية أن يفتح عينه على هذه الحقوق المهدرة على ثرى فلسطين وعلى هذا التشرد البائس للاجئين وعلى هذه الوحشية الكالحة والعدوان السافر على المقدسات والحريات من شرازمة الصهيونية وذيولها ليحس بواجبه إزاء تلك الأوضاع التي تهدد وجود التعاون الدولي وتتحدى ببشاعة وصفاقة إعلان حقوق الإنسان.

على العالم أن يتذكر أنه في نفس العام الذي شهد هذا الإعلان قد ولدت فيه عصابة نازية تمثل السرطان والجرثومة التي تنخر في مبادئ هذه الحقوق.ومازالت على طول هذه المدة تمارس مخططاتها العدوانية وما لم تتضافر القوى الخيرة في هذا العالم على القضاء على هذا الخطر فإن هذا الإعلان سيظل حبراً على ورق وأملاً للإنسانية لم يتحقق.

إننا لنضرع إلى المولى القدير أن يوفق البشرية إلى التفيؤ بظلال الإسلام، حتى تسير قدماً إلى الإمام نحو الحضارة الرشيدة والمدنية الزاهرة والتقدم المنشود.

ومع ذلك نجد أستاذنا يكشف الخونة والعملاء في الأمة المسلمة مستلهما آيات الذكر الحكيم في وصف المنافقين فينشر في مجلة التبيان تحت عنوان: (دروس من السماء فتن النفاق في كل عهد وزمان).

قال تعالى: (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ) [التوبة: ٤٦- ٤٨].

وردت هذه الآيات الكريمة في سورة التوبة التي سميت بالسورة الفاضحة من حيث إنها عنيت بكشف فضائح المنافقين والمخذلين الذين يندسون في الأمة ليحدثوا بلبلة في الأفكار واضطراباً في النفوس وهلعاً من العدو... انطلاقاً من طبعهم المتأصل في نفوسهم، والذي كان سبباً في نفاقهم وهو الضعف والخور، والخوف والجبن عن ملاقاة الأعداء واسترخاص الحياة في سبيل الله سعياً إلى حياة العز والقوة والمجد... هؤلاء المنافقون في كل أمة هم آفتها وجرثومة الفتك والدمار بها... ذلك أن لديهم من فصاحة اللسان، والكلام المعسول، والتعليلات الملفقة ، والقدرة على اختراع ما يثير الشكوك والريب، وما يثبط العزائم والهمم، وما يسبب الفرقة والخلاف بين الصفوف، ما يجعل البسطاء، يتأثرون بما يسمعونه منهم دون تحر ولا تدبر... ويشتد نشاط هؤلاء في أيام الحرب، إذ من عادتهم الصيد في الماء العكر... ولقد اهتمت هذه السورة الكريمة ببيان مواقفهم السخيفة في غزوة تبوك... تلك الغزوة التي دعا إليها رسول الله -ﷺ- في وقت القيظ والحر الشديد،

ذلك الموعد الذي تميل النفس فيه إلى الراحة، والتمتع بالظل والماء البارد، دعا المؤمنين إلى هذه المعركة مع أقوى دول العالم حينذاك ... مع دولة الرومان العظمى في وقت كانت هي المنتصرة على منافستها فارس... لما علم تجمع قواتها لحرب المسلمين ولأول مرة يعلن رسول الله -ﷺ- ! عن مقصده في غزواته، فقد كانت لديه من الحكمة في القيادة ما يجعل كل تحركاته السابقة لهذه الغزوة في سرية تامة حتى لا يتسرب الخبر إلى العدو حتى يفاجئه بالضربة القاضية دون تأهب منه ولا استعداد... حرصاً منه صلوات الله وسلامه عليه على عدم إراقة الدماء، وعلى رسم الخطط بما تتطلبه المواقف الحازمة، ولكنه في هذه الغزوة بالذات أعلن عن مقصده، إذ انها بعيدة وشاقة، والوقت صيف قائظ، والعدو في أوج عظمته السياسية والعسكرية. ومن ثم كان لابد من إعلام أصحابه حتى يستعدوا استعداداً كافياً فليست المعركة عادية كهذه المعارك التي خاضها من قبل ، وصدر الأمر بالنفير العام، وحرك الإيمان نفوساً بذلت كل ما تملك في سبيل الله، كما فعل سيدنا عثمان بن عفان وغيره من الصحابة البررة، وهنا وأمام هذه الأخطار التي يترقبها دائماً المنافقون انخلعت قلوبهم، وتوافدت على رسول الله -ﷺ- منهم الوفود يعتذرون عن الخروج معه، بأعذار واهية حتى بلغت تفاهة أعذارهم أن جاء رجل منهم يعتذر بأنه يحب النساء وأنه لا يطيق إذا رأى نساء الروم أن يفتتن بهن.

هكذا يدعى أنه يخاف الفتنة بالنساء مع أنه بتقاعسه يدعو إلى فتنة أكبر، ومن هنا قال عنه رب العزة: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) (التوبة:٤٩) .

إنهم حاقدون على الإسلام والمسلمين كلما رأوه ينتصر ويظهر، وإن أصيب المسلمون بمحنة فرحوا وشمتوا وأطلقوا الإشاعات المغرضة الكاذبة قائلين، نحن أبعد نظراً، لقد علمنا النتيجة قبل حصولها فلم نخرج معه؟! وهذا ما يقرره القرآن الكريم

(إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ) (التوبة:٥٠) .

ويخرس القرآن ألسنتهم بصوت الإيمان: (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (التوبة:٥١) .

والمؤمنون لا يصيبهم شر مطلقاً، فإنهم لا ينتظرون من الحياة إلا أحدَ أمرين لا ثالث لهما، إما أن يعيشوا أحراراً في عزة وقوة ونصر يقهر كل الأعداء، وتعلو معه كلمة الله، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر... وإما أن يموتوا بررة شهداء تستقبلهم حياة أخرى أفضل من تلك الحياة الدنيا : (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) [آل عمران:١٦٩، ١٧٠] .

أما المنافقون فلا مصير لهم سوى أمر واحد هو العذاب، إما من عند الله ،وإما بأيدي المؤمنين (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ) (التوبة:٥٢) .

ومن شأن المنافق الخوف من المؤمنين أيضا... فهو مضطر إلى مصانعتهم ومجاملتهم وإظهار إخلاص لا يحويه قلبه فتراه ينفق بعض ماله متبرعاً به للحرب...لكنه لا يتبرع به ابتغاء مرضاة الله ولكن رياء وخداعاً للمؤمنين، والقرآن الكريم يرفض هذا الذي ينفقه بلا إخلاص (قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ

كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ) [التوبة: ٥٣، ٥٤]، نعم فما دام أصل العمل وأساسه مفقوداً وهو الإيمان فلن ينفعهم ما ينفقون ولو كان ملء الأرض ذهباً سواء أنفقوه تقية وخداعاً ، أم خوفاً من المؤمنين، وإن هذه الأمور التي يتمتعون بها ويعجب الناس بغناهم وبكثرة أولادهم ما هى إلا خزى لهم في الدنيا بالحرص على جمعه والغم في إنفاقها... وفي الآخرة لأنه لا ينفع هناك مال ولا بنون: (فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) (التوبة:٥٥) ومن شأن المنافق أيضا أن يحس ويخاف أن ينكشف فيدافع عن نفسه ومواقفه دائماً بالحلف أنه من المؤمنين (وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ) (التوبة:٥٦) ويبلغ أثر هذا الفرق والخوف أنهم (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ) (التوبة:٥٧) هذا شأن المنافقين في الحرب أما في أوقات السلم والرخاء فإنهم لا يكفون عن إثارة البلبلة وترويج الإشاعات الكاذبة، والاعتراض دائماً على مواقف الحق والعدل والإنصاف.

إنهم نفعيون ... أنانيون... لا يهمهم إلا أنفسهم، فتراهم حين يوزع الرسول صلوات الله وسلامه عليه الزكاة والغنائم يلمزون وينالون منه: (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ) (التوبة:٥٧) وما هذا شأن المؤمن... فلو كانوا مؤمنين لرضوا: (وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ

فَضْلِه وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ) (التوبة:٥٩) ، فإن رسول الله-ﷺ- لا يقسم الأمور بهواه ولكنه منفذ لأمر الله الذي حدد المصارف التي تضمن التكافل الاجتماعي ، والتأمين ضد الحوادث والأخطار... فالصدقات لا تصرف إلا للفقراء المحاويج الذين بهم شيخوخة أو مرض يمنعهم من العمل ولا مورد لهم، وللمساكين الذين لا يملكون ما يكفيهم حاجتهم ولو كانوا أصحاء يعملون ولا يكفى دخلهم من عملهم ملتزماتهم العائلية وعندهم من العزة الإسلامية ما يمنعهم من السؤال.

وهكذا يعيش أستاذنا الفاضل هموم العالم الإسلامي وما يئن تحته من وطأة الظلم والنفاق والخيانة وهى عوامل خطيرة للانهيار والهزيمة وصدق رسول الله ﷺ حين قال: (سألت ربي ألا يسلط على أمتى عدواً من سوى أنفسها).

ومع ضباب الأحداث والفتن والقهر والتغريب في الأمة المسلمة نرى أستاذنا يهيب بها ويستصرخها ألا تستجيب لعوامل اليأس والاستسلام فيكتب في نشره التبيان كلمة رئيس التحرير بعنوان: (لا يأس مع الإيمان) يستنهض بها القوى الفاعلة في المجتمع مستضيئاً بأنوار الوحى وتوجيهاته فيقول:

من أخطر ما تصاب به الأمم أن يدب اليأس في أوصالها من بلوغ أهدافها، حين ترى العقبات والصعاب حائلة بينها وبين تحقيقها في المدى القريب، فهذا من شأنه فتور الهمم وخور العزائم والاستسلام للواقع والرضا بالذل والخنوع مما يؤدي في النهاية إلى ضياع الهوية وفقدان الشخصية الاستقلالية.

وقد عالج الإسلام هذا الداء بعدة وسائل فعالة حتى تظل أمته خير أمة أخرجت للناس مهيبة عزيزة تأمر فيأتمر العالم وتنهى فينزجر، أمة مرهوبة الجانب موجهة الرشد والهدى، ومن هذه الوسائل:

[١] حرم اليأس والإحباط على الفرد وعلى الأمة على سواء، وهذا ما تحدث به الرسل والأنبياء وحكى عنهم ذلك كتاب الله، فهذا إبراهيم الخليل يبلغ من الكبر عتياً، وزوجه عجوز عقيم وتأتيه الملائكة لتبشره بغلام عليم فيتعجب ويقول: (أبشرتموني على

أن مسني الكبر فبم تبشرون قالوا: بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين) وهنا يرد عليهم خليل الله،(قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) (الحجر:٥٦) .

وهذا يعقوب يفقد ولده يوسف وتمر السنون العجاف وتبيض عيناه من الحزن وكظم الغيظ ومع ذلك لا يفقد الأمل في لقاء يوسف فينادي على أبنائه ،(يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) (يوسف: ٨٧) .

هكذا يحكم الله على لسان أنبيائه بالضلال والكفر على من ييأس من روح الله، ومن هنا حرم الإسلام الانتحار.

[٢] لفت أنظار المؤمنين إلى سيطرة القدرة الإلهية على سنن الكون ونواميسه وضرب لهم أمثلة واقعية مما تغير من هذه السنن تبعاً لإرداة الله ومشيئة ، فهذه النار المحرقة تفقد خاصية الإحراق. وهكذا أراد الكفرة به كيداً فجعلهم الله من الأخسرين الأسفلين.

وهذا البحر المتصلة أمواجه الهادرة أصواته يفقد تماسكه وخاصية تدفقه حينما يضربه موسى بعصاه تنفيذاً لأمر الله فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وهذه الحصون العالية المجهزة من شأنها أن تحمي أهلها وأن تطمئنهم فلا ينزلون منها صاغرين ولكن حين أراد ليهود بنى قريظة الهزيمة أنزلهم (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَأُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً) [الأحزاب: ٢٦، ٢٧].

[٣] ساق قصص السابقين ممن تعالوا واستكبروا في الأرض وتباهوا بقولهم وتمردوا على ربهم، وبين كيف فعل بهم ذو

القوة والجبروت، فهذه عاد لم يخلق مثلها في البلاد، وقالوا: من أشد منا قوة، أهلكهم الله بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية، وهذا فرعون وجنوده ادعى الألوهية فقال لقومه: ما علمت لكم من إله غيري.

وادعى الربوبية فقال:(أنا ربكم الأعلى) فأغرقه الله في اليمّ الذي شقه لموسى ومن معه ولم تستطع ألوهيته المدعاة أن تنقذه بل ولم يستطع إيمانه بالذي آمنت به بنو إسرائيل في وقت الغرق أن ينقذه وقال له المولى: (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آيه)، وهذا قارون يتباهى بأمواله التي لم تستطع العصبة أولو القوة أن تحمل مفاتيح خزائنها ويقول: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) (القصص:٧٨) ، فكانت نهايته كما قال ربه: (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ)(القصص: ٨١)

[٤] وعد الله هذه الأمة بأن يتم الله عليها النعمة وبان تكون لها العاقبة مهما تآمر عليها أعداؤها، وصور ما يقوم به الأعداء لمحو نورها في صورة ساخرة حيث جعلهم كمن يقف في صحراء ينفخ بفمه في الهواء يريد أن يطفئ نور الشمس فيقول (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ) (القصص: ٨١)

(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

المُشْرِكُونَ) [الصف: ٨، ٩] ، ويحكم على أعدائها، بان ما ينفقونه للصد عن دين الله سيعود عليهم بالوبال ولن يتحقق آملهم فيقول: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) (لأنفال:٣٦) ، ويتوعدهم بالهزيمة فيقول: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) (آل عمران:١٢) .

[٥] ينبه الله الأمة إلى أخطر أعدائها ويحددهم بأنهم اليهود والمنافقون فيقول عن اليهود : (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ) (المائدة:٨٢) ، ويقول عن المنافقين: (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (المنافقون:٤)

وحين يحدد هؤلاء الأعداء يطلب من الأمة ان تنتبه إلى مؤامراتهم وأن تستعد بكل طاقاتها للقضاء عليهم فيقول عقب حديثه عن شر دواب الأرض وهم اليهود: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا

تَظْلَمُونَ) (لأنفال:٦٠) ، وهو حين يطلب إعداد القوة بما نستطيع فإنه يعد بأن يكمل لنا ما نعجز عنه حيث لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولأمر ما كان صلوات الله وسلامه عليه حريصاً على تذكير الأمة بعدويها في كل جمعة حيث كان يقرأ سورة الجمعة، وفيها حديث عن عنصرية اليهود وعن تمردهم على وحي الله، وسورة المنافقون وفيها حديث عن طبائع هذه الفئة وعن خططهم لوأد الحركة الإسلامية من التضييق عليها مادياً ومن احتقار أهلها، وذلك قوله سبحانه فيها: (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ) [المنافقون: ٧، ٨].

[٦] يحث أفراد الأمة على ألا يخافوا من بطش أعدائهم ما داموا في حصن حصين من طاعتهم لله فمهما كان لدى أعدائهم من قوة فقوة الله أكبر، ومهما كان لديهم من كيد ومكر فالله خير الماكرين وكثيراً ما نسمع رب العزة وهو يقول: (وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ) (لأنفال:٥٩) ويقول: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً) (فاطر:٤٤) ثم إن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، بهذه الوسائل الفعالة لا يأتي مطلقاً في قاموس المسلم ولا يرد على خاطر أمة مسلمة أن تيأس من النصر مهما امتلك أعداؤها أسبابه، المادية ومهما تعالى واستكبر من يظن نفسه القوة الأكبر.

نماذج أخرى من كتابات الأستاذ الدكتور/

محمد المختار المهدي

إن تراث الدكتور / محمد المختار المهدي نموذج لعمل علمي رائد يحمل بذور الأصالة والفاعلية، وهو ما يحققه تراث أستاذنا الفاضل.

ونزيد على ذلك ونحن نقدم لنماذج من كتابات الأستاذ الدكتور/ محمد المختار المهدي، ونلفت النظر إلى خطورة الموضوعات التي عالجها أستاذنا في أبحاثه بتناول فكر ومنهج رصين لنبين كيف أن دائرة الفكر والمنهج تخرج عن إطار صاحبها لتعبر عن قضية أمة تبحث عن سبيل التجدد والتجاوز والتدارك والتجدد في حيويتها: التجاوز لواقع التخلف، والتدارك لمهمة حضارية غابت عنها ردحاً من الزمن وحان لها أن تستعيدها وإلا لذهبت هى وآثارها أدراج الرياح، فاندثرت أمم من قبلها ولانتقلت عنها مهمة العمران والحضارة والخلافة لغيرها، وذلك مما يعلمنا إياه المنهج القرآني.

والذي يعنينا في هذا المقام من تقديمنا لتراث أستاذنا الفاضل هو المنبع والمنحى الذي استقى منه أستاذنا فكره ومعارفه، وهو الكتاب والسنة، وهو المنبع والمنحى الذي استقى منه في الماضي علماؤنا العاملون والأئمة المجتهدون المجددون، الأمر الذي يجعل في تراثهم من الزخم والوفرة المغنية لبناء صرح فكري ومعرفي بديل يكون أكثر استيعاباً لمتطلبات العصر، الأمر الذي يهيئ لعلوم أكثر اتساقاً مع دواعيها ومتطلباتها المعرفية والاجتماعية، فتكون أكثر تجلية للفهم، وأقرب واقعية من العلوم السائدة، وأكثر نفعاً لواقع الاجتماع العمراني والبشري الذي تتناوله.

ونظراً لأن الأستاذ الدكتور محمد المختار المهدي قد أسهم بجهود بناءة في مجال التراث الإسلامي، وأبدع وتفنن في معالجة الكثير من القضايا والموضوعات الشائكة آثرت وأنا أتحدث عن

شخصيته وأتعرض لبعض جوانبها بالتحليل أن أذكر للقارئ بعض النماذج من كتاباته وإبداعاته العلمية والثقافية الرائعة.

ففي مجال النصيحة للشباب المغرور المنغلق بفكره عن التعمق في فهم النص الشرعي نجد شيخنا ينشر في صحيفة البلاد التي تصدر في المملكة العربية السعودية في الخامس من صفر سنة ١٤١٩هـ، وما بعدها سلسلة من المقالات الهادفة عن أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي وهذه هي الحلقة الأولى في تلك السلسلة النافعة.

موضوعنا هذا يكتسب أهمية خاصة تجعله في مستوى يحتاج إليه المتخصص والطالب والعالم والدارس، وهو موضوع ينبغي أن تكثف حوله الجهود، قبل أن يستغلق فهم النص، أو يجمد الذهن على معنى ضيق أراد الله أن يكون واسعاً، أو يحاول العقل توسيع ما أراده الله محدداً.

وقبل أن ندخل في تفاصيل هذا الموضوع نمهد له باستصحاب بعض الحقائق التي تفيدنا في فهم الأسس التي ينبني عليها ما يمكن استنباطه من نتائج توضح أهمية التعمق في درس الفصحى وسيلة وحيدة للوصول إلى مراد الله من وحيه المبارك بقدر الطاقة البشرية.

[١] النص الشرعي المقصود في هذه المحاضرة منحصر في كتاب الله وسنة نبيه -ﷺ- وكلاهما كما هو بدهي بلسان عربي مبين.

[٢] هذا اللسان ما اختاره الله أداة لوحيه ووعاء له، إلا لتميزه عن غيره من اللغات، من حيث وفرة المواد اللغوية، وتعدد معانيها، واستخداماتها، وتراكيبها، وصيغها ، حتى يتحقق البلاغ المبين إلى العالمين.

[٣] في أثناء الوحي كانت السليقة العربية والنبوغ في فنون الكلام الفصيح سمة غالبة في البيئة العربية وبهذه السليقة أدرك العرب مرامي ومدلولات الوحي، مما جعلهم يسجدون لبلاغته ويعجزون عن مجاراته.

[٤] عالمية الإسلام أتاحت لجميع الأجناس البشرية على اختلاف ألسنتها وألوانها وأوطانها، أن يدخلوا في دين الله أفواجاً، وصار من حقهم أن يفهموا نصوصه وتعاليمه وبما أن لغاتهم تختلف عن العربية كان لابد لهم من تعلم العربية، ليصلوا إلى ما يريدون.

[٥] من أجل ذلك هرع علماء الإسلام من عصر الصحابة إلى تقعيد هذه اللغة، وضبط مفرداتها المستعملة من زمن الوحي، وسمات الأساليب والتركيبات العربية، ومن هنا نشأت كل العلوم العربية، لخدمة هدف محدد، هو الحفاظ على القرآن والسنة من التحريف،أو الفهم السقيم، أو التأثر باللغات الوافدة.

[٦] ولما كان الهدف واحداً لهذه العلوم- تكاملت وتعاونت في فهم النص الشرعي، وأجمع علماء الشريعة وفقهاؤها أن تعلمهم العربية والتعمق فيها شرط أساسي لكل باحث في أى نص شرعي ولذا لجا أئمة الاستنباط إلى تلك القواعد، يستعينون بها على بيان أحكام الله، بل جعلوها حكماً بين الآراء وجمعا بين النصوص، فكانت مباحث الألفاظ مثلاً باباً رئيسياً في علم أصول الفقه، وكان اشتراط أهل العلم في أى مجتهد أن يكون إلمامه عميقاً بأسرار العربية، وكانت مقولات المفسرين في بداية كتبهم، تنبيهاً مسهباً إلى أهمية التعمق في العربية، بعلومها المختلفة وسيلة لفهم كتاب الله ومن أهم هذه العلوم: علم الغريب، والمعاجم، وعلم الصرف، وعلم النحو، وعلم البلاغة، والأدب.

ذلك أن القارئ لاي نص عربي قد يصادفه لفظ لا يدري استعمال العرب له، فيلجأ فوراً إلى المعجم العربي، ليعرف دلالته اللغوية، وقد يجد في هذا المعجم عدة استعمالات لهذا اللفظ ضرورة انتشار اللهجات العربية واختياراتها للمعاني والألفاظ، ومن هنا لابد من معرفة سياق النص، ليختار المعنى المراد.

وبعد أن يعرف المعنى اللغوي للمادة- لابد ان يبحث عن صيغتها التي أتت عليها، إذ لكل صيغة معنى يخصها لينضاف المعنى الصيغي إلى المعنى اللغوي، ثم لابد له أيضا من البحث عن

وضع هذه الكلمة في النص وموقعها الأعرابي، حتى لا ينسب حدث إلى من لم يقم به.

ثم – بعد ذلك- يبحث عن مقتضى الحال، وسبب النزول ومناسبة الأسلوب للسياق.

وبهذا تتعاون الدلالات الأربع: الدلالة اللغوية من المعاجم وكتب الغريب، الدلالة الصيغية من علم الصرف، الدلالة التركيبية من علم النحو، الدلالة السياقية من علم البلاغة.

وحتى لا يكون الكلام نظريا يتوه في عالم العموميات، نتعرض لبعض الأمثلة من النصوص القرآنية والنبوية، وكيفية فهمها عن طريق هذه العلوم ، وكيف استنبط الفقهاء أحكامهم بناء على هذه القواعد؟

ومن أمثلة المعاني اللغوية ما يأتي:

[١] توقف ترجمان القرآن سيدنا عبد الله بن عباس- رضى الله عنه- مع ما عرف عنه من قوة الحافظة، وإلمامه الواسع بالشعر العربي- عن الإدلاء برأية في معنى قوله تعالى: (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) (لأعراف:٨٩) **فيقول: لم أفهم معناها إلا بعد أن سمعت ابنة ذى يزن وهى تقول لخصمها: تعال أفاتحك، فعلمت أن الفتح مستعمل عندهم بمعنى: الحكم والقضاء وعلى هذا فالمعنى، ربنا احكم بيننا وبين قومنا بالحق** وأنت خير الحاكمين، وعلى هذا أيضا نفهم قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ* فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ) [السجدة: ٢٨–

٣٠] ، ذلك أنه يوم الحكم والقضاء بين الناس، لا بمعنى : فتح الأبواب ولا فتح الأمصار.

[٢] في قوله تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) (البقرة:١٤٤) فهم بعض الفقهاء أنه لابد من تحرى عين الكعبة، وفهم البعض الآخر أنه يكفى تحرى الجهة، وانبنى الحكمان على الدلالة اللغوية المسجد الحرام فالشطر ورد بمعنى النصف، وبهذا أخذ من اشترط تحرى عينها، وورد أيضا بمعنى الاتجاه، وبه أخذ الفريق الآخر، كما أن كلمة المسجد الحرام أطلقت على المسجد نفسه، وعلى مكه كلها، وعلى الحرم ومن هنا قال بعض الفقهاء، إن الكعبة قبلة من في المسجد، وإن المسجد قبلة، من في مكة، وإن مكة قبلة من بخارجها من الحرم، والحرم قبلة المشرق والمغرب، ويكفى أن نتذكر معنى قوله تعالى: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (البقرة: ١٩٦) .

[٣] في قوله تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (الانبياء:٨٧) لو فسرنا القدرة – هنا- بمعنى :الاستطاعة لكان في إيمانه خلل ، إذ كيف يظن نبي ورسول أن الله عاجز عن إدراكه ، ولكن لو رجعنا إلى المادة لوجدنا أن الفعل،هنا مستعمل بمعنى: التضييق، أى، فظن أن لن نضيق عليه، لأنه خارج للدعوة إلى الله في مكان آخر بعد أن رفض قومه الاستجابة له، ولكنه خرج دون أن يأذن الله له، ومن هنا ضيق عليه في بطن الحوت، وبهذا المعنى ورد قوله تعالى (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) (الرعد:٢٦) .

[٤] في قولـــــه تعالى: (وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة:٢٢٤) ، وردت كلمة " عرضة " بمعنى كل شئ اعترض ومنع، كما وردت بمعنى الشئ المعرض المبتذل بكثرة والآية صالحة لكلا المعنيين على أساس أن الله ينهى أن يحلف به على منع خير كصلة رحم مثلا ثم يحتج الحالف بأنه لو لم يحلف لو صل رحمه، كما أنه ينهى عن كثرة الحلف بالله كما ذمه في آية أخرى (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ) (القلم:١٠) .

[٥] قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل:١٢٥) الحكمة في معناها اللغوي مأخوذة من حكمة

الدابة، أي لجامها الذي يتحكم في سيرها، ومن هذا المعنى اللغوي قيل عنها أنها وضع الكلمة المناسبة للشخص المناسب في الوقت المناسب، لأن راكب الدابة إذا رأى أمامه خطراً حول وجهة فرسه إلى طريق آمن، أو توقف بالكلية.

[٦] قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة:٢٢٨)

القرء في اللغة بمعنى: الطهر، وبمعنى الحيض بالأول أخذ بعض الفقهاء، وبالثاني أخذ البعض الآخر.

من أمثلة المعنى الصيغي:

[١] قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة:٢٢٢) كلمة المحيض تصلح صرفياً أن تكون مصدراً ميمياً واسم زمان واسم مكان ومعنى الآية صالح للمعاني الثلاثة: التي يحتملها هذا الوزن، فالأمر باعتزال النساء حال الحيض، في مكان الحيض وفي زمن الحيض وهذا إيجاز فيه إعجاز.

[٢] قوله تعالى (قل أمر ربي بالقسط)، المادة اللغوية تفيد أن القسط بفتح القاف هو : الظلم ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾ (الجن:١٥) لكن الصيغة حين يضاف إلى الفعل همزة السلب، تتحول الكلمة إلى معنى: إزالة الظلم، وهذا معنى

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات:٩)

وجاءت كلمة القسط هنا بكسر القاف، اسم مصدر من الإقساط، وهو إزالة الظلم الذي يحبه الله تعالى.

[٣] قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة:٣)

[الفاتحة:٣]كثر كلام المفسرين في هذه الآية ، من حيث إن المادة اللغوية في اللفظتين واحدة، وهي: الرحمة فمن قائل إنه رحمان الدنيا ورحيم الآخرة، أو المنعم بالنعم الجليلة والصغيرة، لكن الاحتكام إلى دلالة الصيغة هو الذي يعطينا التفسير المقبول شرعاً وعقلاً، ذلك أن صيغة (فعلان) تأتي في اللغة للدلالة على الامتلاء إلى النهاية، أو الخلو إلى النهاية، كفرحان وجوعان وصيغة (فعيل) ترد بمعنى الانتشار والذيوع، كلطيف وكريم وحليم، وحين تطبق هذا المعنى على الآية نجد أن الله عز وجل اتصف بالرحمة اتصافاً ذاتياً، وبلغت عنده مبلغاً لا يمكن أن يصل إليه مخلوق فهو الرحمن، ثم وسعت رحمته كل شئ.

وانتشرت وعمت كل الخلائق فهو الرحيم، ومن هنا يقول الإمام ابن قيم الجوزية.

الرحمن صفة ذات والرحيم صفة فِعْل ومن هنا أيضا لا يطلق لفظ الرحمن إلا على الذات العلية.

[٤] قوله تعالى عن رسول الله: (وضائق به صدرك) هذه الصيغة تدل على تجدد الضيق وحدوثه، وأنه طارئ عليه غير ملازم، وعكس صيغة ضيّق، إذ تدل على ملازمة الضيق للصدر،وهي علامة على سوء الخلق، وهذا يتنافى مع ما وصفه به ربه من الخلق العظيم، ولهذا نراها وصفًا لجهنم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً) (الفرقان:١٣)
والفرق هو دلالة الصيغة.

[٥] في قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة:٦) كلمة الصراط مأخوذة من صرط الشئ إذا ابتلعه في يسر وسهولة، ومن هنا أطلق على الطريق السهل غير أن اختيار صيغة (فعال) لطريق الإسلام فيه دلالة أخرى، غير الدلالة اللغوية، ذلك أن هذه الصيغة تستعمل في اللغة للاشتمال والإحاطة كما هي في الإزار ، الرداء، الغطاء، اللحاف، فهى إذن في الصراط إشارة إلى أن من يدخل الإسلام يجده سهلاً، ويغطي كل احتياجاته بحيث لا يفتقر إلى رافد آخر يأخذ منه رأياً أو حكماً أو توجيهاً.

[٦] قوله تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (التوبة:١٢٢) الفقه في اللغة الفهم، ولكن التفقه يدل على التعمق والتكلف والمشقة، ومن هنا جاء التوجيه القرآني لطلاب العلم أن يبذلوا أقصى جهدهم للتعمق في فهم الدين، لأن الفهم السطحي قد يورد موارد التهلكة في الفهم السقيم لأحكام الله.

ومن هذا المعنى ما استدل به الفقهاء على ضرورة اغتسال الحائض قبل أن يباشرها زوجها، لأن الطهر يعنى: النقاء من الحيض، أما التطهر فهو المبالغة في الطهر والمشقة، وهذا لا يتأتي إلا بالغسل بعد النقاء، وهذا مفهوم قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (البقرة: ٢٢٢).

[٧] قوله تعالى: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ (النمل:٦٦) قد يكون العمى للعين، وقد يكون للقلب، فعمى البصر يأتي في اللغة وصفه على صيغة أعمى، أما عمى البصيرة فيأتي الوصف منه على صيغة فعِل، مثل: قلِق، أرِق، حزِن، فرِح فهو إذن: عمٍ وجمعُه عمُون إذ لم يكن هؤلاء عُمْي البصر، إنما كان عماهم في البصيرة.

[٨] قوله -ﷺ- : (فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى فنفعه ما بعثني الله به).

الفقه- كما سلف- هو الفهم لكن إذا أريد الدلالة على هذا المعنى، فقد جاء الفعل على صيغة فعِل، فيكون: فقِه كفهم وعلِم، أما إذا أريد وصول هذا الفهم إلى درجة الملكات الثابتة، والغرائز الدائمة، بحيث يتصف بموهبة الفهم جاء التعبير بصيغة فعُل كطهُر، وكرُم، وشرُف، وهو ما يريده النبي ﷺ، ممن يريد أن ينتفع بعلمه وهداه.

[٩] قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج:٢) الرضاعة صفة خاصة بالنساء، ولذلك توصف المرأة بأنها مرضع، بدون تاء التأنيث لأن هذا من شأنها كما توصف بأنها حامل أو ناهد أو كاعب، وإذا أريد وصفها وهي في حالة الرضاعة جاءت علامة التأنيث دالة على ذلك، وفي هذه الآية يراد هذا المعنى لأن الأم إذا كان ثديها في فم طفلها يكون نزعه منه نتيجة فزع رهيب، لأن ذلك يتنافى مع حنانها وشفقتها على وليدها.

فتــاواه

على حين يتبنى البعض إطلاق الأحكام على عواهنها دون تأصيل شرعي تأتي فتاواه متساوقة مع النصوص والآراء الفقهية مع تنزيلها على الواقع المعاش، وهو ما يسميه أهل العلم بتحقيق المناط، ونحن نكتفى من هذه الفتاوى بحكم إطلاق اللحية، وحقيقة السحر، وحكم التصوير بأنواعه، وحكم الضرائب التي تفرضها الحكومات على الشعوب والفرق بينها وبين الزكاة وإليك ما أجاب على هذه التساؤلات.

سؤال: حيث انني شاب مطلق لحيتي، منذ فترة طويلة ولكن ذلك الالتزام بالسنة يسبب لي مشاكل عديدة مع جهات مختلفة، حتى وصل الأمر إلى أن أبي أصبح يلح على جداً بحلق لحيتي، وأمي أصيبت بشلل في أحد ذراعيها من جراء المشاكل الأمنية التي أتعرض لها، ولعلمي اليقيني في أن هيئة كبار العلماء بالجمعية ورئيسها فضيلة إمام أهل السنة من أحرص الجهات على إقامة السنة النبوية المطهرة أتقدم لفضيلتكم بهذا السؤال:

هل يجوز لي حلق لحيتي ولا أكون مخالفاً لسنة المصطفى إرضاء لأهلي وغيرهم، وإذا كان لا يجوز فماذا أفعل؟

جواب: من الحقائق الإسلامية أن المسلم لا يعد عاصياً إلا إذا خالف أمراً اتفق علماء الأمة على وجوبه، فإذا كان هذا الأمر مختلفاً فيه بين الوجوب والندب لم تكن مخالفته معصية، وإن كانت مكروهة، والأمر بإعفاء اللحية ورد عن رسول الله ﷺ في أكثرمن حديث، أخذ جمهور العلماء هذا الأمر على الوجوب، وحمله بعضهم على الندب والاستحباب، وكان الخلاف بينهم في هذا قائماً على تحديد علامة الواجب الشرعي، فالجمهور يرى أن الأمر يأتي أصلاً للوجوب ما لم يصرفه، صارف عنه، والآخرون يرون أن علامة الواجب أن يرد في الشرع تهديد ووعيد على تركه، واستدلوا على ذلك بأن ركعتي الفجر أمر بهما النبي وواظب على فعلهما ولم يدع أحد أن أداءهما واجب، أما الأمر ببر الوالدين فقد أجمع فقهاء الأمة ونصوص الشريعة على أنه للوجوب، وبناء على ذلك ننصح الشاب

بمقتضى ما في سؤاله من إصابة أمه بالشلل نتيجة المشاكل الأمنية بسبب إعفاء اللحية وبأن الوالد يلح على ذلك، بأن لا حرج عليه في حلق لحيته إلى أن تتغير الظروف، وليس في ذلك معصية إنما المعصية في عقوق الوالدين، وهذه حالة خاصة اقتضاها مرض الوالدة فلا ينبغي تعميم الحكم على غيرها فليس صحيحاً، كما صرح كبار المسئولين عن أمن الدولة، ان مجرد إعفاء اللحية سبب للاشتباه، وأن المعول عليه أن يترتب على الفكر أعمال إرهابية، وأن الدولة لا تحارب السنة، وإذن فنحن ننصح الآباء والأمهات ألا يقفوا حجر عثرة في سبيل تمسك أبنائهم بسنة رسول الله، وأن يتقوا دائماً في ان الضار والنافع هو الله وحده، وما عليهم إلا متابعة أفكار وسلوك أبنائهم دينياً فهذا واجبهم الشرعي وبالله وحده العون والحفظ وعليه الاعتماد.

سؤال: هل للسحر حقيقة أو هو تخييل؟ وهل يعالج بالقرآن، وما حكم الساحر في الإسلام؟

جواب: للسحر حقيقة عند جمهور علماء الأمة، يتعاطاه شياطين الإنس المتعاونون مع شياطين الجن، والساحر لا يكون ساحراً إلا إذا تمرد على طاعة الله تعالى، وكفر كشياطين الجن، ولهذا حكم الفقهاء على الساحر بالكفر، وجعلوا حده القتل كما صح عن رسول الله ﷺ غير أنه لا تأثير للسحر إلا بإدارة الله، فهو المهيمن على كل شئ في كونه، قال تعالى: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (البقرة:١٠٢) .

أما علاجه بالقرآن فالوارد في الإسلام الرقية، وهى عبارة عن دعاء من رجل صالح يرجى قبول الله لدعائه.

أما الأساس في النجاة من شر السحرة فهو تحصين المسلم نفسه بطاعة الله، وتلاوة القرآن، والتعوذ بالله من شر ما خلق.

سؤال: ما حكم التصوير بأنواعه؟ وما حكم تصوير أفراح الزواج بالفيديو في المساجد؟

جواب: التصوير المنهى عنه من رسول الله ﷺ يصدق أساساً على ما كان سائداً في الجاهلية من النحت وعمل المصورين بأيديهم أما التصوير الفوتوغرافي المنتشر الآن أو الذي يكون عن طريق الآلة فحقيقته حبس ظل الأشياء، فليس تصويراً للحقيقة، وهو بهذه الصفة لا يدخل في مفهوم النهى النبوي، غير أن هذا الحبس إذا كان لمناظر مثيرة كتصوير النساء عاريات، أو كاسيات عاريات، أو كان الغرض منه تعظيم المصور وتعليق صورته على الجدران تعظيماً لصاحبها، فإن النهى عن ذلك ليس من أجل أنه صورة ولكن من أجل آثاره التي تترتب عليه.

وأما التصوير بالفيديو فهو أيضا حبس لظل الصورة والصوت معاً فهو غير داخل في مفهوم النحت أو التصوير اليدوي... فإذا كان الغرض منه الاحتفاظ بما قيل في المجلس المصور من عظات وعبر ينتفع بها، أو لإظهار شعيرة الزواج في المسجد الذي لا يحضره إلا الرجال ومعهم داعية يعلمهم كيف تبنى الأسرة بناء إسلامياً فإن ذلك يعتبر نوعاً من الدعوة إلى الله، حتى نقضى على المباذل التي تحدث في النوادي في مثل هذه المناسبات. وبهذا البيان يتضح أن حبس الظل مطلقاً سواء كان للصورة فقط، أو للصورة والصوت لا يدخل في إطار النهى النبوي عن التصوير سواء كان في المسجد أو في غيره لكن الحل أو الحرمة يترتب كل منهما على الغرض منه والآثار الناتجة عنه.

سؤال: ما الحكم الشرعي في الضرائب التي تفرض من قبل الدولة، وهل يمكن أن تغني عن الزكاة أو تحسب منها؟

جواب: الضريبة فريضة إلزامية، يلتزم الممول بأدائها إلى الدولة تبعاً لمقدرته على السداد، بغض النظر عن المنافع التي تعود عليه من وراء الخدمات التي تؤدي إليه.

وهذه الضرائب تستخدم في تغطية النفقات العامة من ناحية، وتحقيق بعض الأهداف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها من الأغراض التي تنشد الدولة تحقيقها من ناحية أخرى.

أما الزكاة فهي حق مقدر فرضه الله تعالى في أموال المسلمين القادرين، تدفع للفقراء والمساكين وسائر المصارف الأخرى كما قررها العلي القدير في كتابه العزيز، وهي تدفع شكراً لنعمة الله تعالى، وتقرباً إليه، وتزكية للنفس والمال.

والضرائب أساسها الشرعي في نظرية التكافل الاجتماعي بين الفرد والمجتمع ، فمن حق المجتمع ممثلاً في الدولة التي تشرف عليه أن يكون لها نصيب من مال أصحاب الأموال، تنفقه فيما يعود على المجتمع بالخير وما يحفظ عليه كيانه ورسالته ، ويذود عنه كل بغي وعدوان.

ولا تغني الضرائب عن الزكاة، أو تحتسب منها، لأن الزكاة من حق الله تعالى على من أنعم عليهم بالمال يجب إخراجها في جميع الأحوال، وجدت الحاجة إليها أم لم توجد فهي بمثابة المورد الدائم للفقراء، بعكس الضرائب إلا عند الضرورة والحاجة، لذا لا تغني إحداهما عن الأخرى، وعلى ذلك يجب إخراج الضرائب أولاً، وتكون بمثابة دين شغل به المال، فإن بلغ الباقي نصاب الزكاة وتحقق فيه شرطها وجب إخراجها والله تعالى أعلم.

وتتنوع مجالات إبداع شيخنا فنراه يتعرض للأدب الإسلامي الهادف والمعتمد على النص القرآني، فها هو ذا يكتب في نشرة التبيان موضوعاً متميزاً عن القصة القرآنية وعلاقتها بالدعوة يستنبط من مجموعة القصص القرآنية مناهج لاصلاح البشرية، والغرائز الفطرية ولإصلاح المجال الدعوي، والسياسي، والإداري، ويشير في أثناء هذه السلسلة التي بلغت حتى الآن ثماني حلقات، إلى مدى تفرد القصص القرآنية بالمتعة والفائدة معا عكس القصص الذائع الهابط.

ونذكر هنا نموذجين من هذه الحلقات الحلقة الأولى والسابعة، ومنها يدرك القارئ الخط الذي سار فيه شيخنا بأسلوبه الأدبي.

نمط فريد ، ونوع ممتاز ... ذلك النسق القصصي في القرآن الكريم... فريد في نسجه، فريد في غايته وهدفه، فريد في تصويره لواقع التاريخ، فريد في المدى البعيد لتأثيره على المسلمين، فريد في التربية بكل كلمة، ولكل لفظة، وبكل حرف... ليس ذلك تحيزاً ولا تعصباً، ولكنها الحقيقة الواضحة، والاستقراء الواعي لما يلقى على الأسماع.

ولطالما أنس الإنسان باستماعه إلي أخبار الأولين... حباً منه لاستطلاع سر هذا الوجود الغامض ، إذ أنه لا يستطيع أن يحقق كل ما يريد من آمال ولا يستطيع أن يستشف من داخل نفسه ماذا سيحدث له في المستقبل، ولكم رأى إخوة في الإنسانية ساروا في درب الحياة لا ينقصهم الذكاء ولا الطاقات، وإذا أقدامهم تضل الطريق، وعاد إلى من يحيط بهم يتساءل عن سبب هذا الفشل ...وظل يستمتع بالإصغاء إلى القصص تحكى على مسامعه الأحداث والمفاجآت وإذا هو يسمع من أغوار نفسه صوت الواقع، أليس هذا الذي حدثت له تلك المخاطر بشراً مثلما نحن بشر؟ أليس هذا نذيراً وتحذيراً؟ لكنه يطامن من حيرته وهلعه باحتمال أسباب خفية أدت بهؤلاء إلى الأخطار... وهذه الأسباب لا يدركها الرواة ولا القصاصون، لأنهم لا يملكون سوى الوصف الظاهري الملموس... وهنا يحس هو أيضا أنه أصابه الفشل في الوصول إلى سر ما يجرى من أحداث... ولكنه لا يجد متنفساً له سوى أن يسمع ما يروى محاولاً أن يتخذ مما تطمئن إليه نفسه مقياساً لحياته وتصرفاته.

ومن هنا حرص المرء منذ القدم أن يصيغ إلى القصة والرواية والتمثيلية، وبمقدار ما فيها من إثارة وحركة وحيوية تجعله يتفاعل مع الأحداث، وتنقله إلى الجو الذي حدثت فيه، يكون أنسه إليها وإعجابه بها.

وإن في تاريخ كل لغة قصصاً وحكايات تدور على ألسنة المتحدثين بها، وتحمل لهم غرائب ما حدث للسابقين، وفي لغتنا العربية في العصر الجاهلي ثروة من هذه القصص طمست معالمها أمية العرب، وعدم اعتنائهم بتسجيل ذلك التراث، ولم يبق منها سوى رموز إليها تسمى بالأمثال أدركنا أنها ما هي إلا عناوين فقط لقصص شاعت وذاعت في محيط العرب الأولين، متمثلة في مضارب هذه الأمثال.

وجاء القرآن الكريم يقص أنباء السابقين، على غير ما ألفوا من القصص، فالتف حوله العرب يغتذون منه المتعة الفنية، والعبرة السلوكية، وإزاء هذا الإعجاب والالتفاف من العرب حول القصة القرآنية حدثت محاولة من الحاقدين لصرف الناس عن هذا القصص، فانطلق النضر بن الحارث يتلقى قصصاً فارسية ويجلس إلى القوم يحدثهم عن (رستم) وعن (اسفنديار) ويصف لهم ما لدى الفرس من خرافات ...ولكن هذه المحاولة نفسها كانت في صالح القصة القرآنية إذ كانت فرصة للموازنة والمقارنة عند السامعين، وإذا هم يدركون الفرق الشاسع والبون العريض بين العجز والإعجاز، بين الأرض والسماء.

ذلك أن حقيقة هامة قد تغيب عن الأذهان في إدراك سر هذا الإعجاب من العرب... تلك هي أن الحكم على الشئ بأنه رائع أو فاتر يعود إلى وسائل التأثير في المخاطبين... فالسامع يحس حين يهتز قلبه لما يسمع بأن هناك قوة جبارة خرقت حجب قلبه، واكتشفت موطن الإثارة فيه، فحركته كما تشاء، فاستحال إلى معجب بتلك البلاغة الآسرة التي نفذ شعاعها إلى مشاعره، وبلغ سحرها إلى فؤاده... ومن هنا يخضع الإنسان لهذا العمل الفني ويسميه بلاغة ويسمى صاحبه بليغاً... هذه الحقيقة تساعدنا على أن نفهم كيف كان القرآن معجزاً للبشر... وللبشر جميعاً... حيث إن حلاوته قد سلكت طريقها إلى كل قلب، وانشرح لها كل صدر حتى صدور أعدائه ومعانديه الذين دلفوا في الظلام إليه، لأنه يعلو ولا يعلى عليه، والقضية سهلة ومعقولة... فالذي أنزله هو الذي يعلم مدى وقع الكلمة على القلب لأنه وحده يعلم تفاصيل هذا القلب فهو

الذي خلقه، وهو الذي أودع فيه مشاعره وإحساساته ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

ومن هنا يتمتع القارئ والسامع لكتاب الله في أى جيل من الأجيال دون أن يعرف كل الأسرار لما يسمع من آيات، وستظل كل آية منه تحمل شحنة قوية إلى كل العصور، ولن تنتهى قوتها، ولن ينقص حجمها ما دامت حياة البشر لأن في زواياها طاقة تسع كل الأجيال... وبهذا لن يستنفد القرآن أغراضه وسيبقى بكراً إلى أن يأذن الله للدنيا بالفناء.

قد يكون ذلك وحده مبرراً كافياً لإدراك الحقيقة التي صدرنا بها هذا المقال وهي أن القصة في القرآن نمط فريد ونوع ممتاز، ولكن ماذا يكون الموقف لو علمنا أيضا أن هذه القصة هي أول قصة في لغتنا العربية عرفت (الالتزام) وحددت رسالة الأدب بمعناه الإنساني الرفيع ووظيفته الاجتماعية الرائدة، فلم تسف القصة فيه إلى درك شهواني، أو إلى إثارة الغرائز الرخيصة، أو إلى تسلية الوقت وقتل الفراغ كما هو حادث الآن في قصصنا الذائع، وكما كان موجوداً قبل عهد النبوة وفيما نقله النضر من قصص فارس وخرافاتها.

إن بعض الباحثين اليوم ينكرون للقصة غاية خاصة لأن التزام فكرة معينة يؤدي إلى إقحام كل ما من شأنه أن يساعد على إبرازها دون أن يهمه ما إذا كان له دخل في نسج القصة أولاً، فينقلب القصاص إلى داعية ، ولنا مع هذا الفريق نقاش : هل يقصد بذلك ألا يتخلى الكاتب عن فنه في سبيل هدفه وفكرته؟ إذا كان هذا هو المراد فإننا نعضد ما يقول... أيقصد أن يتخلى الكاتب عن هدفه من أجل فنه بحجة أن الفن يجب أن يكون هدفه لذاته من حيث المتعة والجمال فقط؟ إن كان ذلك هو المقصود فهي دعوة إلى استخدام الفن في هدم المجتمع... بل ودعوة إلى هدم قيمة الفن ذاتها في المجتمع... فليس هدف الفن أن يمتع فقط... ولكن (المتعة والفائدة معاً) وبذلك يتسامى الفن وتكون له رسالة تحميه من الضياع.

وفي معرض الحديث عن المجالات التي يمكن للعقل البشري أن يبحث فيها ليستخرج من القصة القرآنية لمحات ولمسات قد تكون منطلقاً إلى آفاق الفهم العميق لناموس الكون، فيرسم للمجتمع مناهج إصلاح، تتواءم وتتسق مع ما فطر الله عليه البشر، وما جرى به قلم التاريخ على صفحة الوجود، مسطراً: (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً) (الأحزاب:٦٢) .

في هذا المعرض يمكن العمل البناء الهادف إلى خير الفرد والجماعة، وتكون الدراسة الجادة النافعة التي تضع أمام الأمة خيوط النور، ومشاعل الهدى والإصلاح، لا في اتهام القرآن الكريم الذي (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) (هود:١) ، بأنه استعمل الرمز الأدبي الحديث، الذي يعتمد على تراسل المشاعر، وإيحاءات الأساطير السائدة في البيئة التي نزلت فيها آيات القرآن الكريم!! (وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) ومن اصدق من الله حديثاً؟!!

في هذا المعرض بدأنا الحديث عن تصوير القصة القرآنية للطبيعة البشرية على ما هى عليه... ورأينا كيف صورت غريزة حب البقاء، وغريزة الجنس في وضعيهما المتقابلين... حينما تسيطر إحداهما على المشاعر، فيكون السعار الذي يؤدي إلى الدمار والعار، وحينما تخضعها النفس إلى قانون المبادئ والقيم، فيكون التهذيب والسمو الذي يرتفع بالإنسان إلى مدارج الكمال البشري حتى يتربع به على قمة المثل العالية، في مصاف المعالم الهادية إلى مرفأ الحضارة الإنسانية الراشدة.

غريزة الحنان الأبوي:

وإذا سرنا مع القصة القرآنية نستقرئها عن طبيعة هذا الإنسان التي لن تصلح إلا بما صلحت به حين التزمت منهج الله الخبير بالنفوس المحيط بأقطار الأفئدة، فإننا نراها تصور لنا كذلك مدى سيطرة الحنان الأبوي الذي غرسه الله في الإنسان حتى لا يشعر بالشقاء، والإرهاق الذي يناله في سبيل تربية الأبناء، وحتى لا ينجب الأب ابنه ثم ينساه ويرميه في متاهة التشرد والضياع، هذا الحنان المغروس بيد القدرة لتلك الحكمة... جارف وعنيف لدرجة تجعل نبى الله يعقوب عليه السلام يفقد عينيه، حزناً على فراق ولده العزيز سيدنا يوسف عليه السلام (وابيضت عيناه من الحزن فهم كظيم) وتجعل نبي الله نوحاً عليه السلام يقف لينادي ابنه العاق مشفقاً وجلاً، والماء يتلاطم مع الجبال (قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ) (هود:٤٣) لكن الولد كان شقياً وآثماً وسار مع الكافرين فنفذ فيه أمر الله بلا محسوبية ولا محاباة (قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ) فإن المشاعر الأبوية تتحرك عنده ويقف سائلاً ربه مستعطفاً (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) (هود:٤٥) وقد وعدتني بنجاه أهلي... فيرد عليه ربه بأن الصلة ليست في النسب منفصلاً عن العقيدة (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ

لَيسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (هود:٤٦)

ميزان الحق لا يحابي:

وهكذا تقرر القصة مبدأ خطيراً ومهما للدعوة الإسلامية إن ميزان الحق لا يحابي، وأن الصلة الحقيقية للإنسانية ينبغي ألا تكون إلا على أساس العقيدة والدين فهذا الأساس فقط هو الذي يعترف به الإسلام فإذا تجاوزته المشاعر الإنسانية إلى عواطف الأبوة والبنوة والقرابة كان الجهل وكانت العظة من الله لنبيه نوح: {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} (هود:٤٦) .

هذا الحنان الجارف حينما يقف أمامه أمر السماء لا يبقى له أثر على السلوك، فحب الله فوق كل حب، ولو كان حب فلذات الأكباد، فإنه هو الذي منح الأبناء، وهو كذلك صاحب الأمر كله بالنسبة للآباء، هذا سيدنا إبراهيم خليل الله عليه السلام قد وضع المشاعر الإنسانية رهن إرادة الله، إذا تلقى منه أمر تجاوزه إلى آفاق الاستسلام لهذا الأمر... لقد أسكن ولده الوحيد وزوجته هناك في قلب الصحراء، حيث لا ظل ولا ماء، ولا حصانة تحميهما من قسوة الطبيعة الجرداء ، سوى هذا الدعاء الضارع {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} (ابراهيم:٣٧) .

ومع أن هذا العمل وحده يعتبر من سيدنا إبراهيم مثالاً فريداً في التضحية وبخاصة وهو شيخ كبير، فإن الله سبحانه يعرضه لامتحان أصعب من هذا، ليظهر المدى البعيد لصلابة الإيمان عند الأنبياء الأخيار، وليرقى إبراهيم مراقي التسامي النادر، والإخلاص الفريد، لقد أمر من السماء وهو نائم أن يذبح بيده هذا الولد الوحيد العزيز الأثير، وإذا هو في الصباح تتفاعل في

جوانب نفسه مشاعر الأبوة، وأحاسيس الإيمان والنبوة... وكما هو الشأن دائماً مع البررة الأوفياء لحق الربوبية على العبودية، ينتصر داعي الإيمان ويلبى نداء الله، ويعرض الأمر على ولده المؤمن ذي اليقين الصادق، الذي ارتضع من ألبان الهداية، وتزكى في كنف شيخ الأنبياء والمرسلين، وإذا الولد سرّ أبيه، وإذا الشبل ابن الأسد، وتتلاقى أشعة الإيمان في سماء الصفاء والإخلاص وينادي إسماعيل أباه (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) (الصافات:١٠٢) وفعلاً يقدم إبراهيم على التنفيذ (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) (الصافات:١٠٣)

وهنا وأمام هذا التسامي الفذ والسلوك المذعن لأمر الله من الولد وأبيه، تتنزل رحمة السماء، فترسل نجدتها في الوقت المناسب (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) (الصافات ١٠٤ – ١٠٧)

ويخلد اسم إبراهيم على الزمن مثالاً للتضحية والفداء، والإيمان والوفاء (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) (الصافات:١٠٨ – ١١١).

بمثل هذه الايحاءات الصادقة الواضحة التي تستخلص من النص القرآني ذاته بلا غموض ولا إشكال، يتعلم الوالد، كيف يصبر على فقد ولده وهو يجاهد في سبيل الله، ويتعلم الولد: كيف يبذل نفسه وأعز ما لديه استجابة لأمر الله، وتتهذب غريزة الحنان، وغريزة حب البقاء، فتكونان رهن إشارة التشريع السماوي عن

رضا نفسه ورحابه صدر ... وما أحوج الأمة الإسلامية اليوم إلى هذا التهذيب!!

غريزة الشح:

ثم نراها تصور لنا طبيعة الشح التي تتبع من حرص الإنسان على بقائه وبقاء أولاده، واعتقاده أن هذا البقاء يتطلب وسائل مالية تهئ له ذلك، ومن أجل هذا وذلك كان الإنسان قتوراً.

نرى القصة القرآنية تعالج هذه الغريزة الشموس، بما يشذب جامحها وما يقلم شوكها، فتحلل مواقف الأشحاء تحليلا ساخراً لاذعاً... وتصورهم وهم يلهثون جريا وراء الجمع والتحصيل بما يسمهم بميسم الشقاء المضنى و(الهستيرية) المزرية، ففي قصة أصحاب الجنة تبرزهم وهم يتخافتون، ويهرولون في خفة وطيش ونزق في الصباح المبكر، مصممين على الحصاد، حصاد كل الثمر (ولا يستثنون) فإذا هم يفاجأون بأن الجنة قد صارت كالصريم ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (القلم:١٩) وتصل القصة إلى القمة من الناحية الفنية حينما تعلن للقارئ، والمستمع ما حدث للجنة في الليل وهم لا يعلمون، ثم تصور عقب ذلك تحركاتهم اللاهثة المجنونة لتترك للقارئ فرصة التمتع بهذه المناظر الساخرة ، إذ هو يعلم ماذا حدث، وهناك وحينما يصلون إلى جنتهم تصدمهم الحقيقة الواقعة ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ (القلم: ٢٦ ، ٢٧) ، فلا يجدون منفذاً لهم من الحرمان سوى الغني الرازق الذي لا تنفد خزائنه ﴿ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْراً مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ (القلم:٣٢)

وتنتهي القصة بالتزامها الهدف الذي سيقت من أجله وهو بيان شقاء الحريص الشحيح يُسلبُ النعمة بعد العطاء. إذا هو بخل بحق الله ونسى إخوانه في المجتمع: ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ) (القلم:٣٣)

وفي قصة قارون الذي أوتى من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة، فاغتر بما أوتى، ونسب الفضل لنفسه ولمواهبه فيما أوتى، ونسى الله وسخر من قومه الناصحين، وخرج من زينته متبختراً مختالاً... حتى رفرفت في حسرة قطاة الفقراء... واضطربت لمنظره قلوبهم، فكانت النتيجة هى العقاب الصارم لا سلب النعمة فقط ولكن (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) [القصص: ٨١، ٨٢].

وتنتهى القصة بهذا الهدف العظيم، وتلك السنة الكونية التي لا تتخلف: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (القصص:٨٣) .

مكانة الإنسان في القرآن

وحين يتحدث عن القضايا الإنسانية العامة وموقف القرآن منها نراه يبدع في عرض الإسلام والحقوق التي أقرها للإنسان قبل أن تبحث عنها هيئة الأمم المتحدة بأربعة عشر قرنا من الزمان، ويشير في كتابه الذي سبق أن نوهنا عنه:حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والشرعية الوضعية، إلى مدى قصور ما صدر عن البشر ومدى ما يتمتع به النص الصادر عن رب البشر ولنستمع إليه وهو يقول في هذا الكتاب:

من بين مخلوقات الله الكثيرة اختص القرآن الكريم هذا الإنسان بقيمة خاصة، ومكانة ممتازة؛ فهو المخلوق الوحيد الذي تحدث عنه الخالق جلا علاه أنه قد خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه، فاستحق بهذه النفخة العلوية، وذلك السر الإلهي أن يكون أكرم مخلوق، وأن يأمر الله ملائكته المطهرين أن يسجدوا له: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص ٧١-٧٢].

ومنحه من العلم والمعرفة ما تفوق به على الملائكة الكرام: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١-٣٣]

وبوأه ربه منازل الرضا والتكريم فقال له: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:٣٥)

وكرمه بالاستعداد الفطري الذي استأهل به الخلافة في الأرض: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الاسراء:٧٠)

وسخر كل ما في الكون من أرضه وسمائه لخدمته والانتفاع به: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية:١٣)

ولم يتركه هملاً كما لم يخلقه عبثاً،فاصطفى منه رسلاً يحملون إليه وحياً، يهديه ويسعده في تلك الحياة، ويعيده بعد الحياة إلى الفردوس والنعيم: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾ (طـه:١٢٣)

هذه قصة الإنسان كما وردت في القرآن: مكرم مفضل له منزلته السامية، ومكانته الفريدة في الجنة وفي الأرض.. وفي الحياة وبعد الموت، وسر هذا التفضيل والتكريم ما منح من عقل،وما وهب من علم وإدراك وإزاء هذه المنة الإلهية العظيمة أتى واجب التكليف،وحوسب المرء على ما يقول ويفعل، وإذا كنا في مقاييسنا البشرية لا نحاسب إلا من له كيان، ولا نعتب إلا على من ننظر إليه باهتمام ،فإننا ندرك أن مسألة الحساب على العمل تعد من الله مزيداً من التكريم لهذا الإنسان.. لقد حمله مسئولية نفسه لأنه رشيد،ولأنه

عاقل،ولأنه يزن ما يأتي وما يدع : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت:٤٦) .

الإخاء الإنساني

لقد وصل الإسلام الإنسانية كلها بأوثق الروابط وأمتن الوشائج والصلات حين ردها إلى رب واحد وأم واحدة، فعقد بينهم سبباً لا تبلى جدته، ولا تهن قوته مهما امتد في آفاق الأرض ومهما طوف حول هذا الكون... إن الإسلام يرى أن كثرة أفراد البشرية وشعوبها وقبائلها ينبغي أن تكون مدعاة إلى التعارف والتعاون والوئام، لا سبباً في التناكر والتعادي والشقاق: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات:١٣) ،وما دام الأصل واحداً والأب واحداً كذلك... فليس هناك داع للتفاخر والتعالى والتسلط والكبرياء إذ القيمة الحقيقية للإنسان التي يحق له أن يزهو ويعتز بها .. هى الأثر الطيب الذي تتركه يداه، والعمل الصالح المبنى على تقوى الله.. يقول ﷺ:

(أيها الناس إن ربكم واحد،وإن أباكم واحد، كلكم لأدم، وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى).

وبهذه المساواة في القيمة الإنسانية التي تعتمد على الأصل الواحد والنسب الواحد، لا يتصور في أحد من بنى الإنسان أن يولد متميزاً على غيره في الكرامة والقيمة أو فيما ينبغي له من حقوق وكيان.. لقد ولد الجميع في حالة متساوية في كل شئ ثم منح الجميع بعد ذلك أدوات الفهم والتعقل والتفكير،ويسر أمام كل فرد سبيل النبوغ فيه : (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النحل:٧٨) ، ولقد ركب في كل إنسان كذلك فطرة نقية سليمة، تشكل ضميره ووازعه الديني، بحيث

يدرك الخير والشر بوضوح وجلاء ، قال تعالى: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (البلد: ١٠) ، وقال ﷺ: ((كل مولود يولد على الفطرة،وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)).

الناس سواسية

انطلاقاً من مبدأ الإخاء الإنساني الذي تحدثنا عنه بنى الإسلام علاقة الإنسان بأخيه على مبدأ المساواة المطلقة أمام القانون.. حتى يستقر العدل ويسود الحق،و تتمحى كل آثاره من ظلم وإجحاف ، فإذا تميز فرد في فكره أو عمله وجهاده فإن هذا التمييز لا يعطى لصاحبه حقًا زائداً على غيره... ولكنه فقط يفرض التقدير والاحترام له من المجتمع.. أما أن يحابي أو أن يكون عمله وتقواه وسيلة لنيل حق ليس له فهذا ما يرفضه الإسلام قال عليه الصلاة والسلام : ((الناس سواسية كأسنان المشط)) وإذا كانت بعض الآراء الحديثة قد أغرقت وتغالت في إبراز شعارات التمييز بين الناس،فجعلت بعض العناصر تفوق الأخرى، فهذا سامي وذاك أرى، وهذا يجرى في عروقه الدم الألماني، فإن الإسلام يرد الجميع إلى أصل واحد، إلى عنصر واحد : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) (النساء:١)

لا تمييز بسبب الجنس:

وإذا كانت نعرة الأجناس قد ذاعت وفشت على هيئة قوميات وجنسيات مختلفة فإن الإسلام لم يعط جنساً فضلاً على آخر.

إن الإسلام لم ينزل للعرب فقط.. ولم تقتصر الدعوة إليه على هذا الجنس.. إنه دين عالمي يخاطب نبيه قائلا: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي

وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (لأعراف:١٥٨)

غاية ما هنالك أنه أنزل باللغة العربية،وطبق أولا في الأرض العربية. وحملته إلى الناس كثرة من الجنس العربي غير أن هذه الميزات التي نالها العرب لم تعطهم فضلاً على من سواهم،فهذا هو رسول الله ﷺ يقول عن سلمان الفارسي: ((سلمان منا أهل البيت)) ويختار لدعوة الناس إلى أداء الصلاة (بلالا) الحبشي، بل إنه ليهتم ويغضب غضباً شديداً حينما يشعر بأن أحداً يثير فتنة جنس أفضل أو يحتقر مسلماً غير عربي... أو يستغرب مقيماً في بلد لم تكن له مولداً ولا مسكناً.

جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها(سلمان الفارسي) و (صهيب الرومي) و (بلال الحبشي) فقال: هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هذا؟ فقام إليه معاذ بن جبل - رضى الله عنه - فأخذ بتلابيبه ثم أتي النبي ﷺ فأخبره بمقالته فقام النبي ﷺ مغضباً يجر رداءه حتى أتي المسجد ، ثم نودى إن الصلاة جامعة فقال : ((يا أيها الناس إن الرب واحد والأب واحد، وإن الدين واحد وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هى اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي)).

هكذا يوسع الرسول ﷺ دائرة العروبة حتى تتجاوز النسب إلى اللسان فيفتح بذلك باب الدخول في العروبة على مصراعيه.. وهو لا يفتح ذلك تعصباً للغته أو تمييزاً لها عن سواها ولكن ليفهم الداخل إلى الإسلام مبادئ القرآن من لغة القرآن ضرورة أن القرآن المعجز قد نزل بها: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (يوسف:٢) .

والقرآن لا يرتب على ذلك فضلاً خاصاً..ولكنه يرتب الشرف الذي نال العرب بذلك على قيامهم بالمسئولية مسئولية التبليغ والدعوة إلى الله.

قال سبحانه وتعالى: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) (الزخرف:٤٤)

ولقد طبقت تلك المساواة بين العرب والعجم على أساس الكفاءة والديانة والجدارة: يروى عن عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- أنه وقف على بابه أبو سفيان بن حرب و بلال الحبشي فأذن لبلال قبل أبي سفيان.

لا تمييز بسبب اللون:

وليس في الإسلام كذلك تمييز بسبب اللون، فإنه يعتبر اختلاف اللون في الإنسان كاختلافه في الزهور والرياحين، ويجعل هذا الاختلاف دليلاً على إبداع القدرة الإلهية : (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ) (الروم:٢٢) .

والرسول ﷺ يغضب بشدة حين يسمع تلميحاً بهذا التمييز في مجتمع كان يعد سواد اللون نقصاً وضعة، ولا يعطى الأسود حقه ولو كان كفئاً.. ولا أدل على ذلك من هضم حق الشاعر الفارس عنترة بن شداد العبسي.

تقاول مرة أبو ذر الغفاري وعبد أسود في حضرة النبي ﷺ فاحتد أبو ذر على العبد وقال له : يا ابن السوداء، فغضب النبي ﷺ وقال: ((أعيرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية)) ثم قال: ((طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى)).

لا تمييز بسبب الدين:

وبمثل هذه التوجيهات الحكيمة محيت من نفوس المسلمين هذه التفرقة محواً قاطعاً ، أرسل عمرو بن العاص إلى المقوقس

وفداً وجعل رئيسه عبادة بن الصامت وكان أسود اللون، فغضب المقوقس لسواده، وبسطة جسمه وطلب أن يتكلم غيره ، فرفض الوفد قائلاً: ((إن هذا أفضلنا رأيًا وعلماً وهو سيدنا وخيرنا)).

ولا تمييز في الإسلام كذلك بالنسبة للمعاملة بسبب الدين أو التقوى والصلاح كما ألمحنا إلى ذلك فيما سبق. إن النفس الإنسانية محترمة مكرمة بدون نظر إلى دينها أو جنسها ، فقد مرت جنازة على النبي ﷺ فوقف لها فقيل له إنها جنازة يهودي فقال النبي ﷺ ((أليست نفساً؟)).

فإذا ما حدثت مقاضاة بين اثنين وكان أحدهما اتقى من الآخر، أو كان أحدهما مسلماً وكان الآخر يهوديا أو مسيحياً فلا اعتبار لشيء من ذلك أمام القضاء.

شكا يهودي (عليًا) إلى (عمر) في خلافة عمر فلما مثلا بين يديه خاطب" عمر" اليهودي باسمه وخاطب (عليًا) بكنيته ،فقال : يا أبا الحسن، حسب عادته في الخطاب، فظهر أثر الغضب على وجه علي، فقال له عمر: أكرهت أن يكون خصمك يهوديًا وأن تمثل معه أمام القضاء وعلى قدم المساواة!؟ فقال علي: ((ولكنني غضبت لأنك لم تسو بيني وبينه، بل فضلتني عليه ؛ إذ خاطبته باسمه بينما خاطبتني بكنيتي)).

هكذا غضب علي لهذا التمييز الواهى غير المقصود و على ليس مسلماً فقط وخصمه يهودي ولكنه من الصفوة الممتازة من صحابة رسول الله ﷺ.

لا تمييز بسبب القوة أو القرب من الحاكم:

ولا اعتبار كذلك للوضع الاجتماعي فلا تمييز في القضاء بين قوى وضعيف ، أو شريف وسوقة، أو حاكم ومحكوم.

شفع أسامة بن زيد وكان حبّ رسول الله ﷺ في فاطمة بنت الأسود المخزومية عندما وجب عليها حد السرقة إلى رسول الله ﷺ فانتهره الرسول قائلاً: (أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة؟!) ثم قام فخطب :(إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف

تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).

وخطب عمر بن الخطاب- رضى الله عنه - فقال: (يا أيها الناس إنه والله ما فيكم أحد اقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له، ولا أضعف عندي من القوى حتى آخذ الحق منه).

وكتب إلى أبي موسى الأشعري في رسالة القضاء آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك).

وكتب إلى الخليفة من بعده: (اجعل الناس عندك سواء لا تبال على من وجب الحق، ثم لا تأخذك في الله لومة لائم، وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله).

لا تمييز بسبب الرأي السياسي:

ولا اعتبار كذلك باختلاف الرأى السياسي في الدولة فعلى رئيس الدولة أن ينفذ حكم الله بالعدل والقسط على الجميع لا فرق بين مؤيديه ومخالفيه استجابة لقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة:٨) .

لا تمييز بسبب الموطن:

وإذا كان الإسلام لا يضع في اعتباره أمام المساواة بين الإنسانية كلها عوامل الدين ولا اللغة ولا الجنس ولا اللون ولا الرأى السياسي ، فهو كذلك لا ينظر إلى الأصل الوطني على أنه ميزة تعطى لصاحبها حقاً أفضل من الغريب.. فلقد كانت مكة هى الموطن الأصلي لرسول الله وللمهاجرين.

ولما ذهبوا إلى المدينة وجدوا فيها بروح الإسلام وطناً وأهلاً وأنصاراً لم يظفروا بهم في موطنهم مكة، ذلك أن الإسلام جعل وطن المسلم ليس هو الأرض التي ولد عليها وعاش عليها فقط، ولكن الوطن الصحيح هو الأرض التي وجد نفسه حراً عليها في دينه وعقيدته ويحكمها الإسلام، أيّاً كانت هذه الأرض، وأى انحراف عن هذه النظرة نفاق ومرض نفسي.

هذا عبد الله بن أبى يثير فتنة في غزوة(بنى المصطلق) أساسها أن الرسول ﷺ وصحبه من المهاجرين غرباء عن المدينة، وأن أهل المدينة هم الذين آووهم ونصروهم.. ولو أن أهل المدينة منعوا عنهم المعونة لانفضوا عن هذا الوطن، ومغزاها أن الوطني أعز من الغريب، ولو كان مشتركاً في الدين واللغة، وفي هذا يقول الله عز وجل: (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ) [المنافقون:٧، ٨]

لا تمييز بسبب الغنى والفقر:

ولا اعتبار في الإسلام كذلك لفوارق الغنى والفقر، ولقد صرح القرآن الكريم بذلك فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً) (النساء:١٣٥) بل إنه لا يصح في عرف الإسلام أن يحترم الغنى لغناه، وأن يحتقر الفقير لفقره.

فمقاييس الرجال لا ينبغي أن تكون رهن المظاهر الخادعة:
سأل رسول الله ﷺ جلساءه وقد مر بهم رجل تبدو عليه مظاهر النعمة فقال: ما تقولون في هذا؟ فقالوا: هذا رجل من أشراف الناس، هذا والله حرى إن خطب أن يزوج ،وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يسمع لقوله . فسكت النبي، ثم مرّ رجل آخر فقال: ما تقولون في هذا؟ فقالوا: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا والله حرى إن خطب ألا يُزوج ،وإن شفع ألا يشفع، وإن قال ألا يسمع لقوله.

فقال الرسول ﷺ : (هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا).

بعد هذا البيان الواضح لنصوص الإسلام القاطعة يتبين إلى أى مدى بلغت قيمة المساواة بين أفراد هذا الجنس البشري كله في كنف التشريع الإسلامي.

حق الحياة

من الأصول الأساسية التي يتبناها الإسلام ويضع لها من القواعد والتشريعات ما يحفظها ويحوطها بالعناية والرعاية هذا الحق.. فالحياة منحة ربانية أعطيت لنا لنستمتع بها ونعمل على حفظها وصيانتها إلى أن يأتي الأجل المحتوم الذي لا يعلمه إلا من خلق الموت والحياة.

وإذا كان خلق الخلق لم يكن عبثاً ، ولم تكن الحياة سدى ، فليس للإنسان أن ينتحر ويقتل نفسه، أو يوردها موارد الهلكة، وإلا استحق اللعنة والغضب من الله ومن المجتمع ،فليست حياته ملكاً له يتصرف فيها كيف يشاء يقول الله تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً) (النساء:٢٩) .

وليس لأحد مهما كانت مكانته وسلطانه أن يغصب الإنسان حق الحياة، ومن فعل ذلك بغير حق فقد آذن الناس جميعاً بالحرب، وآذن معهم رب الخلق الذي جعل لنفسه وحده صفة الإحياء والأماتة، والإنسانية كلها متضامنة في كف اليد التي تبسط لقتل أخيها الإنسان، فإن كل بني آدم إخوة.. حق كل واحد منهم في أن يعيش هو حق الآخر، فإذا قصرت الإنسانية في ذلك دخلت كلها في إثم إقرار الجريمة وعدم استنكارها: (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ) (المائدة:٣٢)

ثم إن الإسلام لم يشرع حد القصاص في القتلى إلا حفاظاً على هذا الحق المقدس: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٧٩)

وكم سخر القرآن من طوائف العرب الذين كانوا يئدون بناتهم ووصفهم بالوحشية والقسوة حين قال عنهم: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ، ثم انظر إلى تحطيم هذه الأسباب التي يبنون عليها إزهاق تلك الروح: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً﴾ (الاسراء: ٣١) .

الحرب المشروعة في الإسلام:

أما الحرب المشروعة في الإسلام فهي مختصة بالدفاع عن النفس، وعن العقيدة ،والحرية واستبعاد الفتنة، واضطهاد المؤمنين ، وإكراههم على الخروج من دينهم، والحرب في هذه الحالات ضرورة كضرورة بتر العضو الفاسد حتى لا يؤثر على بقية الأعضاء فهي كمبضع الطبيب الذي يضحي بالجزء لإصلاح الكل، فإذا ما اندفع الخطر وساد الأمن والاستقرار، وسلم المحاربون فإن الإسلام يقبل هذا السلام ويضع أوزار الحرب استجابة لقول الله سبحانه: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (لأنفال:٦١)

حق الحرية

الحرية هى الإطار الذهبي الذي يبدو فيه الإنسان وهو يرفرف في أفقه الإنساني الرفيع،متميزاً به على ما سواه من المخلوقات.

لقد منح عقلاً وتفكيراً وإرادة، وفتحت له أبواب الاختيار والتمييز بمقتضى هذا العقل وتلك الإرادة، لا سلطان عليه، ولا جبّار يقف بالمطرقة بين يديه إن الله قد جعله سيد هذا الوجود وجعل هذا الكون كله مسخراً لخدمته، وجعل المخلوقات جميعاً تطأطئ رأسها لهامته.

إن هذه الحرية التي وهبها الله لبني الإنسان منذ أن وطئوا بأقدامهم هذه الأرض شئ نفيس وهبة غالية لا ينبغي التفريط فيها لأي متسلط جبار..

إن معنى العبودية لله وحده أن يخلع الإنسان كل عبودية لما سواه وهذا هو أصل العقيدة الإسلامية وأن يتخلص الإنسان من كل ذلة أو خضوع لغير الله إن الجبين الذي يسجد لرب العباد ، لا ينبغي له ولا يتأتى منه أن يخفضه لغير الله من هذا المعنى الحي انطلق صوت عمر بن الخطاب يستنكر ما فعله ابن عمرو بن العاص قائلاً: ((متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)).

ومن هذا المعنى كذلك سخر سيدنا موسى عليه السلام من (فرعون) المتسلط على بنى إسرائيل قائلاً: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائيلَ﴾ (الشعراء:٢٢)

بل إن هذا المعنى السامي هو الذي يفرض على المسلمين أن يحاربوا المستبدين لإنقاذ المستضعفين: ﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾

(النساء:٧٥) ، ومن هذا المعنى كذلك يفرض الإسلام الهجرة من موطن الذلة والاستضعاف إلى موطن آخر يحصل فيه على أمسّ حق يتصل بالكرامة الإنسانية، فإذا ما أهمل هذا الذليل المستضعف ولم يهاجر فمأواه جهنم وبئس المصير: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً) [النساء:٩٧، ٩٨]

بل لقد وصلت قداسة الحرية إلى درجة جعلت من أهداف سيدنا موسى- عليه السلام - تخليص الإذلاء من قيود الذل والاستكانة لفرعون: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) [القصص:٥،٦]

الحرية الزائفة

هكذا يحرص الإسلام على الحرية ولكن ويا للأسف لقد التبس بهذه الكلمة معان ساقطة هابطة لا تتسق مع سموها ومكانتها ، لقد فهمها البعض حديثاً على أنها الفوضى والتهاون بالقيم والفضيلة والأخلاق، وفهمها البعض الآخر على أنها ممارسة لكل النزوات والشهوات ،وانطلاق من كل القيود والضوابط الإنسانية والاجتماعية فلا يهمه في سبيل هذه الحرية الزائفة أن يعتدي على حرية الآخرين ،وعلى حقوق الآخرين.

إن الحرية لا تعنى أن يفعل الإنسان ما يشاء ، ويترك ما يريد ، لكنها تعنى أن يفعل الإنسان ما يعتقد أنه مكلف به، وان فيه صلاح البشر أجمعين، وإيمان الإنسان بأنه مكلف هو أول خطوة من حريته ذلك أن الحرية معنى اجتماعي لا يتصور وجوده إلا في مجتمع يأخذ الأفراد منه ويعطون وإذن لابد لها من قيود في هذا المجتمع حتى لا تتضارب الحريات، ولا تتصادم الرغبات، وكل تقييد للحرية لابد أن يكون له مبرر من قواعد الحرية ذاتها ، وإلا كان ظلماً ، فتقييد حرية المنفلتين الذين لا يراعون حق المجتمع يكون المبرر له هو المحافظة على حرية الغير.

إن النفس الإنسانية حينما تسمو وتشف فإنها تستشعر حرية الآخرين، وتجد في داخل أقطارها من الحياء ما يمنعها من التعدى والجور... وهذا السمو وتلك الشفافية وذلك الحياء هو ما يهدف إليه الإسلام في تكوين الشخصية المسلمة المتزنة ،و ما أروع قوله عليه السلام: ((إن مما توارثه الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت)) ! أى أنه إذا انطلقت النفس فقد ذهبت الحرية والإنسانية معاً ، وعاد الناس إلى حياة الوحوش في الغابات.

الحرية الشخصية

أول مظهر من مظاهر التمتع بالحرية ، هى الحرية الشخصية، وهى تتناول حرية الاعتقاد والتدين ، وحرية الرأى والتفكير ، وحرية العمل والتصرف.

حرية التدين:

بناها الإسلام على عناصر ثلاثة:

الأول: التفكير الحر الذي يرفض التقليد والضغط.
الثاني: منع الإكراه على عقيدة معينة.
الثالث: حماية العمل على مقتضى العقيدة وأداء الشعائر التي تتطلبها العقيدة.

فأما العنصر الأول فقد نعى الإسلام على من يعتمد علي التقليد للآباء في العقيدة قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ) (المائدة:١٠٤) .

ودعا الناس إلى التفكير والاستدلال وتعرف الحقائق بعقولهم ، فقال سبحانه: (قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآياتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ) (يونس:١٠١) ، (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) (النمل:٦٠) .

وأما العنصر الثاني فقد حرم الإسلام إكراه الناس على الدخول في الدين، قال تعالى: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى

لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة:٢٥٦) ، وقال: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (يونس:٩٩) .

وما أبيح القتال في الإسلام كما تقدم إلا لحماية الحرية الدينية ولمنع الفتنة والاضطهاد والإكراه ، قال تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) (البقرة: ١٩٣) ، ولقد كان المسلمون الأولون حريصين على تنفيذ هذه التوجيهات بدقة متناهية.

يروى في هذا أن عجوزاً نصرانية قابلت عمر بن الخطاب لحاجة لها عنده، وبعد أن أداها لها دعاها إلى الإسلام، فأبت فخشى عمر أن يكون في كلامه إكراه لها فقال: ((اللهم إني لم أكرهها)) ، (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة:٢٥٦) .

حقوق غير المسلمين:

وأما العنصر الثالث فلم يمنعه من أن يكون في ظل حكمه من غير المسلمين في عباداته وشعائره .. والقاعدة المعروفة التي نفذت على مدى العصور : ((إننا أمرنا بتركهم وما يدينون)) ولا أدل على ذلك من معاهدة الرسول ﷺ لليهود في المدينة على حسن الجوار، وعلى ترك حريتهم الدينية يقيمون شعائرهم كما يحبون.

ولقد عاهد عمر بن الخطاب أهل بيت المقدس على هذه الحرية،فكان في نص معاهدته معهم: ((هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل أيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم ، لا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم)).

والذي يدعو إلى الدهشة فعلا أن الإسلام لا يبيح وجود دين آخر معه في بلد واحد فحسب، بل أنه يبيح وجوده في البيت الواحد، وعلى مرقد واحد، فأجاز الزواج من اليهودية والمسيحية، ويصرح لها الزوج المسلم بأداء شعائر دينها كما تشاء.

بهذه العناصر الثلاثة شيد الإسلام بناء الحرية الدينية على أساس التسامح والمعاملة العادلة النزيهة التي تحترم حرية الآخرين ، ذلك أنه دين يقف على أرض صلبة متينة، دلائله واضحة، وبراهينه قاطعة، وتعاليمه تساير الفطرة البشرية، وقرآنه يخاطب نبيه بقوله: (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ) [الغاشية: ٢١،٢٢] ، وبقوله: (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (آل عمران:٢٠) ، ويقول: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (المائدة:٩٢) ، (فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (التوبة:١٢٩) .

الردة نفاق وبلبلة:

وهنا يثور من البعض تساؤل لابد من الإجابة عليه- حتى لا يكون هناك شك أو ريبة تشوه هذا البناء المشيد. لماذا- وفي الإسلام هذه السماحة المنقطعة النظير- تقتلون المرتد عن الإسلام؟

ونقول : إن الدخول في الإسلام كما ذكرنا مشروط بالبحث والتفكير والنظر والموازنة بينه وبين ما سواه، فإذا ما دخل أحد هذا الدين بعد هذا النظر المفروض عليه والاقتناع به ، ثم أراد الخروج منه فما هو إلا أحد شخصين:

إما منافق: يدخل في الإسلام ويخرج منه ليحدث بلبلة في المجتمع ، وخلخلة في النظام العام كما كان يحدث من اليهود في بدء الإسلام، وحكاه لنا القرآن الكريم في قولـه: (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (آل عمران:٧٢) ، ولا أظن أن مثل هذا العبث يقبله أى نظام يريد لأتباعه الهدوء والاستقرار، إنه في الحقيقة تعد على الآخرين وإثارة للفتنة والشغب والاضطراب في المجتمع.

وإما أنه شخص نفعي مذبذب: لا يستقر على رأى وعقيدة ، وإلا فما الذي دعاه إلى ترك دينه الأول؟ وما الذي دعاه إلى الدخول في الإسلام؟ ثم ما الذي دعاه إلى الخروج منه علناً وأمام الناس؟ إنه من البدهي المعلوم للجميع أن النظام الإسلامي لا يتدخل في نوايا الناس ولا في بواطنهم إن له الظاهر والله يتولى السرائر، فإذا زاغت عقيدة مسلم ما ولم تظهر منه بوادر الكفر والزندقة في المجتمع فلن يتعرض لمكروه ، أى أنه لو اقتصر كفره وضلاله على نفسه؛ فجزاؤه عند الله على هذا الضلال وليس للدولة الإسلامية عليه من سلطان.

أما إذا بدت منه هذه الآثار ، فإنه يعتبر متعدياً كذلك على الآخرين، ومشجعاً على الفساد والكفر، وداعياً إلى نبذ الإيمان وإطفاء نور الله.

الجزية:

وهناك تساؤل آخر يمليه الجهل بطبيعة الإسلام، ولابد من تبديد شبهاته، لماذا إذن يفرض الإسلام على غير المسلمين جزية في أموالهم؟ أليس في هذا إذلال لهم وأخذ أموالهم مقابل عدم إسلامهم؟

ولبيان الحقيقة لابد أن يعرف الجميع أن الإسلام لا يقبل من المخالفين لعقيدته أن ينضموا إلى جيش المسلمين، لأنه ليس لديهم الوازع الديني الذي يجعلهم حريصين على نصر هذا الدين أو

تعزيز بناء دولته ، مع هذا لهم حق الأمان من المسلمين أى أن المسلمين مفروض عليهم حمايتهم من أى عدوان داخلي أو خارجي ، فهل من العدالة والإنصاف أن يكون كل الغرم على المسلمين ، وكل الغنم لغيرهم على حين أنهم يعيشون في بلد المسلمين؟

إن الذين حسبوا الجزية بدلاً عن الإسلام واهمون إنها بدل من الحفظ والحماية والأمان، كما أنها دليل على أنهم لا يضمرون كَيْداً ولا سوءاً بالمسلمين، فهى علامة لخضوعهم للنظام، فإن لم يدفعوها ويسهموا بها في تكاليف الأمن فهم حربيون غير ذميين، وهذه نتيجة منطقية لا يشوبها أدنى ظلم ولا إجحاف.

حرية الرأى:

إن الرأى منتهى ما يستقر في الذهن بعد البحث والتفكير، ومن حق المجتمع الذي ربى هذا الذهن وأولاه عنايته أن ينتفع بثمرته، وهو لا ينتفع بذلك إذا كان هناك قيد على نشر هذه الآراء ما دامت في محيط النفع العام، وما دامت في دائرة العقل، وفي إطار من الاحترام يحجزها عن التعدى على حرمات الآخرين، أو على قدسية الأديان والقانون.

إن الآراء السليمة هى التي تكون الجو المناسب للتقدم الحضاري المنشود، وإن الجو الإسلامي لهو خير الأجواء التي تنمو فيها الآراء السامية الهادية إلى الخير والمصلحة العامة.

في غزوة بدر الكبرى ،وفي أول لقاء بين الإسلام والكفر تخير الرسول صلى الله عليه وسلم، مكاناً للمعركة رأى أنه الموقع المناسب، ومع أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يتمتع بين أمته باحترام وتقدير خاص حيث إنه الموحى إليه، مع هذا ينفسح مجال الإسلام للرأى والمناقشة قال له سيدنا الحباب بن المنذر في أدب جم وفي حرص شديد على مصلحة المسلمين: أرأيت هذا المنزل أهو منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم عليه أو نتأخر أو هو الرأى والحرب والمكيدة، فقال الرسول: ((بل هو الرأى والحرب والمكيدة)) فقال: (ليس هذا بمنزل يا رسول الله، انهض بالناس

حتى نأتي على أدنى ماء من القوم، ثم نغور ما وراءه فنشرب ولا يشربون).

ولم يسع الرسول إلا أن يستجيب لرأى هذا الجندي الباسل المخلص.

وفي غزوة الأحزاب أخذ كذلك برأي سيدنا سلمان الفارسي في حفر الخندق.

وفي غزوة بنى قريظة لما قال الرسول ﷺ ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بنى قريظة)) قال بعضهم: الصلاة في بنى قريظة ولو فات الوقت، وقال غيرهم: إنما أراد الإسراع وصلوا في الطريق، وبلغ النبي ما فعل الفريقان فأقر كلا على رأيه وفهمه.

حرية الرأى لا تعنى الإفساد:

بيد أنه لا ينبغي أن تتخذ هذه الحرية ذريعة لإشاعة المذاهب الهدامة والدعوة إلى الفساد والانحراف، ولابد أن تلتزم خط الفضيلة والمبادئ، ولابد كذلك أن تلتزم قانون العلم والتمحيص حتى لا يذاع على الناس كل باطل وهراء، ولابد أن يتخذ أصحاب الفكر آلات العلم التي منحها الله للإنسان في الوصول إلى الرأى الصائب: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الاسراء:٣٦) .

بين الحرية والفرض:

على أن هناك فارقاً ضخماً بين التعبير الحديث بحرية الرأى التي تعنى إباحة نشره، فحسب وبين مبدأ الإسلام الذي يفرض إعلان هذا الرأى ما دام في دائرة النفع العام، وفي إطار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إن الإسلام يعتبر هذا الأمر، وذلك النهى فريضة على كل مسلم مستطيع، وبذلك يفتح أقطار العقل والفكر من كل أبوابها للتفكير فيما هو واقع في المجتمع،

وتكون عنه الآراء السليمة، وتعلنها على الناس، وهى بهذا الإعلان تؤدي واجباً لا تفعل مباحاً، أى أن إبداء الآراء الصائبة في الإسلام ليس ترفاً عقلياً يباشره من يشاء، ولكنه واجب اجتماعي وفرض ديني، لا يتخلص المؤمن من تبعته الاجتماعية إلا حينما يؤديه على خير الوجوه.

قال ﷺ: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان)) ويقول الله عز وجل في وصف المجتمع المسلم: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٧١) ويربط أهلية المسلمين للصدارة والقيادة لكافة الأمم بمدى محافظتها على القيام بهذا الواجب مع الإيمان بالله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران:١١٠) .

حرية العمل:

هناك فرق كبير كذلك بين التعبير بحرية العمل الذي يجعل العمل مباحاً وجائزاً، وبين روح الإسلام التي توجب هذا العمل وتحث عليه بشتى أنواع الأوامر والأساليب، إن الحديث عن العمل يتخذ صيغة الأمر في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة:١٠٥) وفي قوله: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ

ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك:١٥) ، ويتخذ صيغة الامتنان بما هيأه الله من وسائل العمل والإرشاد إلى استغلال الثروات والخيرات التي بثها الله في هذا الكون في مثل قوله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهَى) [طه: ٥٣، ٥٤]، ويتخذ صيغة الحث والتأكيد في وصايا رسول الله ﷺ ، يقول صلوات الله وسلامه عليه: ((ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده)) ،ويعتبر الرسول العمل جهاداً في سبيل الله ما دام لغرض شريف نبيل.

مر على النبي ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله من جلده ونشاطه، فقالوا يا رسول الله: لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال الرسول: ((إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان)).

وبجانب هذه التوجيهات الإسلامية إلى العمل نجد الرسول ﷺ يحرم البطالة والتسول، قال صلوات الله وسلامه عليه : ((لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم))، ويحرم الإسلام وسائل الكسب التي تشجع على الراحة والكسل وتعتمد على المال وحده دون جهد ولا عناء ولا مخاطرة، ويتمثل ذلك في تحريمه للربا، وهو يعنى أن المال يلد المال دون أن يدخل الجهد البشري كعامل فعال في نتيجة الكسب، والقرآن الكريم يعلن حرب الله ورسوله على المرابين، فيقول : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ) [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

وكذلك حرم الإسلام جميع الطرق التي تؤدي إلى تضخم الأموال عن طريق غير مشروع كابتزاز أموال الناس، أو غشهم، أو التحكم في ضروريات حياتهم ، واستغلال عوزهم وحاجتهم، أو عن طريق الانتفاع بالسلطان والجاه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٨٨) ، وقال ﷺ : ((من غش أمتى فليس مني)) وقال: ((من احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد برئ من الله وبرئ الله منه)) ولقد أقبل على النبي ﷺ رجل وكان قد استعمله الرسول على الصدقة، فقسم الرجل ما معه قسمين وقال للنبي: هذا لكم وهذا أهدى إليّ ، فظهر الغضب في وجه النبي وقام وخطب فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((أما بعد فإني استعمل الرجل منكم على أمور مما ولاني الله، فيأتي أحدكم ، فيقول هذا لكم وهذه هدية أهديت لي، فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه، فينظر أيهدي إليه أم لا، والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر)).

ولقد صادر عمر بن الخطاب رضى الله عنه هدايا عماله على البصرة والبحرين، وقاسم مال عماله على الكوفة، وفعل مثل ذلك مع عمرو بن العاص حين كان والياً على مصر، فقد كتب إليه: ((إنه فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن حين وليت مصر)) ، فكتب إليه عمرو: إن أرضنا أرض مزدرع ومتجر، فنحن نصيب فضلاً عما تحتاج إليه نفقاتنا، فكتب إليه عمر إني قد خبرت من عمال السوء ما كفى، وكتابك إلى كتاب من أقلقه الأخذ بالحق، وقد سنت بك ظناً، ووجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك فأطلعه وأطعه وأخرج إليه ما يطالبك وأعفه من الغلظة عليك، برح الخفاء، وأذعن عمرو للأمر وتركه يقاسمه ماله.

بهذه التشريعات الحاسمة رفع الإسلام من قيمة العمل حتى جعله أفضل من الانقطاع لعبادة الله، فقد جاء قوم إلى النبي ﷺ وفيهم

رجل عابد زاهد، فقال النبي: من هذا؟ فقالوا: رجل انصرف إلى العبادة.

فقال النبي: (ومن يؤكله) قالوا كلنا يؤكله،فقال: (كلكم خير منه).

من واجب الدولة فتح أبواب العمل:

ولقد كان الرسول ﷺ باعتباره رئيس الأمة يحاول فتح أبواب العمل وتهيئة وسائله لمن يريد، جاءه رجل من الأنصار يسأله فقال له:أما في بيتك شئ؟ قال: بلى: حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه الماء. قال : أئتني بهما، فأتاه بهما فأخذهما الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: من يشتري مني هذين؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم،قال الرسول: من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثاً.قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال: اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوما فائتني به،فأتاه به فشد فيه الرسول عودا بيده، ثم قال: اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً، ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشتري ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً، فقال له النبي ﷺ : (هذا خير من أن تجئ المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة).

وحرص الإسلام كذلك على إنصاف العامل وإيفائه حقه كاملاً في الأجرة دون بخس ولا ظلم قال تعالى: (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ)

وقال ﷺ: (أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه).

وحث الإسلام كذلك على حماية العامل من الأخطار والعمل على تأمينه في عمله ورعايته رعاية تامة: يقص الله عز وجل قصة الرجل الصالح وهو يساعد عمال البحر ويقيهم من خطر اغتصاب الظالم لسفينتهم، فيقول على لسانه: (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ

لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً) (الكهف:٧٩) ، وفي هذا توجيه للأمة الإسلامية أن تحذو حذو هذا الرجل الذي يصفه القرآن بقوله: (فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً) (الكهف:٦٥) .

حق الراحة للعامل:

ولما كان للجسم طاقة محدودة في مواصلة العمل ، وللنفس كذلك طاقة ينتابها عند مجاوزتها الملل، فقد أعطى الإسلام للعامل حق الراحة وحق تحديد ساعات عمله بما يتلاءم مع المحافظة على صحته، وما يتفق مع دوام التجديد لنشاطه وقوته. قال ﷺ: (إن لبدنك عليك حقا) ، وقال: (إن المُنْبَتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) وقال عن الخادم يوصى به مخدومه: (ولا يكلفه ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه).

وخلاصة ما يهدف إليه الإسلام أن يضمن للعامل حق المعيشة في مستوى لائق من التغذية والملبس والمسكن والعناية الصحية، وفي إطار من الرحمة التي لا تكلفه ما لا يطيق ولا تفرض عليه ما لا يستطيع ، وفي رعايته كذلك لما تتطلبه المصلحة العامة، فإذا كانت قدراته وطاقاته لا تمكنه من كسب ما يفي بكل حاجاته فإن له حقاً آخر على المجتمع ، هو حق الفقراء والمساكين من الزكاة والصدقات من بيت المال تكفل له هذا المستوى الكريم من المعيشة اللائقة بقيمة الإنسان.

الحرية المدنية:

هذا الاصطلاح الحديث يعني في العرف الدولي صفة الرشد التي تجعل الشخص أهلاً لأن يتحمل الالتزامات ويعقد باسمه مختلف العقود المشروعة من بيع وشراء وهبة ورهن ووصية، وما

إلى ذلك ، ويقابل هذه الحرية حالة الرق التي تحكم على الشخص بالقصور والعجز عن مباشرة هذه الحقوق، وعن تحمل هذه الالتزامات ، ولقد ألغى الرق حديثاً باتفاق دولي وبعد هذا الإلغاء المحدث كثر الكلام واتسع النقد للإسلام، يعنى أنه إذا كان الإسلام يهدف إلى الحرية والمساواة بين الناس في جميع الحقوق فلماذا لم يلغ الرق من أول الأمر حتى يتم له هذا الهدف؟

وحتى نستطيع تصور الملابسات التي اتصلت بهذا الموضوع ينبغي لنا إن نعرف انه ليس هناك دين ولا قانون سبق الإسلام في تحريم هذا الرق أى أن الشريعة اليهودية لم تحرمه، بل قسمت البشر إلى قسمين : بنو إسرائيل قسم، وسائر البشر قسم آخر ، وأباحت استرقاق غير الإسرائيليين إلى الأبد، لأنهم سلالات كتب عليها الذلة من الأزل، أما المسيحية فلم يرد فيها نص واحد يستنكره أو يحرمه بل إن الرسائل كانت توصى بإخلاص العبيد في خدمة سادتهم.

أما الدول قبل الإسلام فقد كانت معاملاتها قائمة على اعتبار رعايا الدول الأخرى غنيمة تستولى عليهم متى استطاعت، تسترق من تشاء، وتبيع من تشاء.

ويروى في هذا أن أفلاطون الفيلسوف اليوناني قد جرى عليه الرق في إحدى رحلاته، وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد استرقه قبل الإسلام شخص في إحدى رحلاته إلى الشام، فاستسلم له عمر ابتداء حتى تمكن من الانفراد به فقتله.

ولقد كان يحيط بالعرب دولتان كبيرتان لهما حضارة، وفيهما علم وفي أحدهما ميراث زاخر من الفلسفة والحكمة وهما دولتا الروم والفرس، ولقد كان قانون الرومان الذي مازالت بعض قوانينه مقدسة عند أوروبا حتى الآن يعطى للأشراف الرومان حقوقاً ليست لغيرهم ممن هم في ظل الحكم الروماني، فالعبيد لا يعاملون معاملة الآدميين، فليس على السيد مسئولية فيما يفعل مع عبده، حتى إن قتله فلا تبعة عليه، وجريمة العبد تضاعف لها العقوبة وجريمة الروماني يخفف فيها العقاب ، والدائنون لهم حق استرقاق المدينين إن عجزوا عن الوفاء.

أما الفرس فقد كان الحكم للأشراف خاصة وما كان هناك دين سماوي أو أخلاق سائدة تحمي من الظلم والاستعباد.

والخلاصة:

أن الإسلام قد ظهر في عصر كان نظام الرق فيه شرعاً سائداً، وعرفاً دولياً قائماً، وكانت منابعه كثيرة، ومنافذه قليلة، وكانت أهم روافده سبعة:

[١] الحرب بجميع أنواعها.
[٢] الخطف والسبى.
[٣] ارتكاب بعض الجرائم كالقتل والسرقة.
[٤] عجز المدينين عن السداد.
[٥] سلطة الوالد على أولاده فله أن يبيع من يشاء بيع الأرقاء.
[٦] سلطة الشخص على نفسه، فله أن يتنازل عن حريته لقاء ثمن معين.
[٧] تناسل الأرقاء.

قيود ومنافذ:

فلما جاء الإسلام حرم كل هذه الروافد، ولم يبق منها سوى رافدين اثنين هما: رق الوراثة، ورق الحرب، بل إنه قد وضع على هذين الرافدين من القيود ما يكفل نضوب معينهما:

فقيّد النوع الأول: بأن لا يكون تناسل بين جارية وسيدها.

وقيّد الثاني: بأن تكون الحرب شرعية غير أهلية ، والحرب الشرعية كما بينا فيما سبق حدودها ضيقة، كما أجاز الإسلام في ارقائها المن والفداء، بل إن القرآن الكريم والسنة النبوية، جاء فيهما عشرات الأوامر بالعتق والإحسان والمن والفداء، قال تعالى: (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ

وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) (محمد:٤) ، وقال تعالى: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ) [البلد :١٢، ١٣].

وقال تعالى: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً) (الانسان:٨) ، وقال ﷺ في حديث قدسي عن الله عز وجل :(ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه اجره)، وقال ﷺ: (عودوا المريض وأطعموا الجائع وفكوا العاني).

وتاريخ الرسول في غزواته يشهد بهذه الروح التي تهدف إلى حرية العبيد، ففي (بدر) قبل المسلمون الفداء، وفي (الفتح) قال الرسول: (اذهبوا فأنتم الطلقاء) ،وفي (بنى المصطلق) تزوج النبي اسيرة من هذا الحي ليرفع مكانته، فتحرج المسلمون من استرقاق الأصهار الجدد.

والقاعدة الفقهية المشهورة: (الشرع يتشوق إلى الحرية) وقد بلغت حداً من المحافظة عليها لدرجة جعلت بعض الفقهاء يحكم بنسب الولد إلى أب كافر حر ويرفض الحكم عليه بأنه عبد مسلم.

فماذا ينتظر أعداء الإسلام منه أن يفعل أكثر من ذلك؟ هل كانوا يريدون منه ألا يسترق أعداءه على حين أنهم يسترقون أبناءه؟!

إن الإسلام لم يمنعه من إلغاء الرق سوى أن أعداءه لا يستجيبون لذلك ، ومع هذا فقد وضع في تشريعاته منافذ كثيرة لو سارت في طريقها الصحيح عبر التاريخ لانتهى الرق من زمن بعيد: منها أن العتق يلزم باللفظ ولو مزاحاً ، كذلك التدبير.

ومنها أن السيد إذا أتى من جاريته بولد عتقت عليه، ومنها نظام المكاتبة الذي يبيح فيه السيد لعبده أن يتاجر ويعمل حتى يوفيه

ثمنه، وقد حث الإسلام على مساعدته بل جعل له نصيباً من مصارف الزكاة في كل عام.

ومنها نظام الكفارات ، فالقاتل خطأ عليه أن يعتق رقبة، والحانث في يمينه عليه أن يعتق رقبة، والمظاهر من زوجته عليه أن يعتق رقبة، هذه كفارات مفروضة.

وهناك عتق مرغوب فيه تطوعاً بلا إيجاب من الشرع، قال ﷺ : ((من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار)) وفضلاً عن كل ذلك فإن الإسلام قد ضمن لهم معاملة كريمة مع سادتهم، قال ﷺ : (من لطم مملوكاً له أو ضربه فكفارته عتقه)، وكان من آخر وصايا رسول الله ﷺ قوله: (اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم).

ومن توجيهاته النبوية ألا يقول السيد لمملوكه يا عبدي ، ولا يا أمتي، بل يا فتاي وفتاتي، ومن مآثره صلوات الله وسلامه عليه أنه جعل العبيد إخوة لسادتهم ، فقال: (إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس).

ولقد طبق صحابة رسول الله ﷺ مع عبيدهم مبدأ هذا الإخاء، فلقد وعى سمع التاريخ وهو مطأطئ الرأس إكباراً عن سيدنا عمر بن الخطاب وهو ذاهب إلى الشام لعقد المعاهدة مع أهل بيت المقدس بعد انتصار المسلمين أنه كان معه غلامه ولم يكن معهما سوى ناقة واحدة، وتنفيذاً لمبدأ الإخاء كان أمير المؤمنين المنتصر يتعاقب الركوب مع غلامه على الناقة، وإمعاناً في إظهار تلك الإخوة والعدالة والمساواة كان الدور حين دخول المدينة للغلام فما استنكف أن يدخل المدينة ماشياً وغلامه راكب.

إنها عظمة الإسلام تتجلى على رءوس الأشهاد تدمغ أباطيل الحاقدين وأكاذيب الناقمين.

عن المعرور بن سويد قال: دخلنا على أبي ذر بالربذة فإذا عليه برد وعلى غلامه مثله، فقلنا : يا أبا ذر لو أخذت برد غلامك إلى بردك فكانت حلة وكسوته ثوباً غيره؟ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((هم إخوانكم)) .

بل إن الإسلام قد بلغ الذروة في إبراز كيان الرقيق فأباح لهم أن يكونوا أسرة بالمعنى القانوني السليم، بل إن حق القود والقصاص قد أعطاه لهم الإسلام، ولو كان مع حر بل ولو كان مع رسول الله ﷺ.

عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ في بيتي ، وكان بيده سواك فدعا وصيفة لي فلم ترد عليه حتى استبان الغضب في وجهه، فخرجت إلى الحجرات فوجدتها تلعب، فقلت: أراك تلعبين ورسول الله ﷺ يدعوك؟ فقالت: لا والذي بعثه بالحق، فقال الرسول ﷺ: ((لولا خشية القود لأوجعتك بهذا السواك)).

هذا والدكتور/ المهدي له رؤية واضحة في كيفية عودة هذه الأمة إلى سابق مجدها وقد شرح هذه الرؤية في آخر ما كتب عن منهج الجمعية الشرعية بين التأصيل الشرعي والتطبيق العملي... شرح فيه وضع الأمة وسبل تقدمها وثباتها أمام هذه الأعاصير ببناء الشخصية المحمدية والعودة إلى منهج النبوة الراشد، وسجل فيه ضرورة تجميع الطاقات المؤمنة على الدعوة والعمل الصالح... بنظام محكم بدأه مؤسس الجمعية الشرعية الشيخ/ محمود محمد خطاب السبكي الذي أحيا السنة وأمات البدعة في مصر منذ أكثر من تسعين عاماً إبان الاحتلال الإنجليزي لمصر إذ حاول تغريب شعبها وسلخة من هويته ومبادئه وقيمه بعده وسائل.

[١] منها تنحية التشريع الإسلامي عن حكم الحياة، وتذرع في ذلك بتنوع الآراء في المذاهب الإسلامية المختلفة، واستطاع بالترغيب والترهيب أن يحل محل هذا التشريع القوانين الغربية التي تحمل في طياتها قيماً غريبة عن الإسلام والمسلمين، تضيق منافذ الحلال، وتفتح الأبواب على مصاريعها للحرام.

[٢] ومنها تغيير مسار التعليم ومناهجه السائدة لدى المسلمين على مدى القرون السابقة، حيث كان المسلمون يأخذون من إشارة القرآن الكريم للمنهج النبوي في تعليم الأميين خطة عمل متكاملة، فكانوا يبدأون في تربية أبنائهم بإدخالهم الكتاتيب التي يسمعون فيها كلام الله، ثم يحفظونه، ومعه أحاديث الرسول ﷺ

والقواعد الأساسية لعلوم الشريعة واللغة العربية، ثم ينطلقون بعد ذلك التحصين، يتخصصون في مجالات العلم المختلفة، وكان ذلك نتيجة فهمهم لقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (الجمعة:٢) .

واستطاع المستعمر أن يحيط الكتاتيب بهالة من النقد اللاذع والسخرية الهادفة إلى صرف الناس عنها، وإدخال أولادهم المدارس الحديثة، التي تعنى باللغة الإنجليزية، وتُهمل فيها العلوم الدينية والعربية، وتقتصر مهمتها على تخريج الكتبة والموظفين.

[٣] ومنها ربط الاقتصاد المصري بقيود، تجعله تابعاً ومستجدياً للمنح والهبات، وتتيح لهم نهب ثروات مصر وخيراتها، واستثمارها لديهم في المصانع والمؤسسات.

[٤] ومنها تحريض النساء على الرجال، حتى تتفكك روابط الأسرة المسلمة، نتيجة الإيحاء لها بأن من حقها التبرم والتفلت من قيود الفضيلة في الملابس، وفي التبرج وإثارة الشهوات، وغرروا بالنساء حتى رفعوا شعار تحرير المرأة، مما قضى على المحضن الصالح لجيل يتربى وسط وئام ومودة ورحمة، أراد الله أن تكون آية من آياته في تشريع الزواج.

[٥] ومنها منع حفظه القرآن الكريم من الالتحاق بالجيش، بحجة تكريمهم ، وإبعادهم عن الإهانة في الخدمة العسكرية، والهدف الأساسي ألا يكون في الجيش من يتحمس للجهاد ضد هذا العدو الغاصب، ومن منطلق أن هؤلاء هم الذين يستطيعون أن يبثوا في نفوس الجنود استشعار الرغبة في الشهادة دفاعاً عن الإسلام وعزة المسلمين.

[٦] ومنها التهوين من شأن الأزهر وعلمائه، حتى لا تكون لهم كلمة مسموعة لدى الشعب، كما كان في عهد الحملة الفرنسية، حين كانت الثورات ضد المستعمر تنطلق من الأزهر.

[٧] ومنها العمل على توهين الرابطة بين أقطار الأمة المسلمة، ومحاولة القضاء على الوحدة الإسلامية، وقد اشتهر عنهم مبدأ (فرق تسد) فأشاعوا النعرات القومية والقطرية والعرقية، وأحيوا الانتماء إلى الفرعونية، والفارسية، وترددت في جنبات العالم الإسلامي شعارات تدعو إلى انغلاق كل قطر على مشكلاته وأحواله، فمصر للمصريين، وسوريا للسوريين، وليبيا لليبيين، وهكذا حتى لا ينهض قطر في الدفاع عن أخيه في حالة التهام المستعمر لهم واحداً بعد الآخر، وفي سبيل ذلك، قامت الصهيونية العالمية بدور خبيث في إلغاء الخلافة العثمانية، مستغلة ما كان في سياسة هذه الدولة من بعض المظالم، ومظاهر الغطرسة والإهمال.

[٨] ومنها تشجيع البدع والخرافات، التي التصقت بالإسلام من خلال الطرق الصوفية، والإسرائيليات المندسة في كتب التراث، والأحاديث الموضوعة الداعية إلى التكاسل والتواكل، وكان هذا التشجيع بهدف إلهاء الناس عن التفكير في سياسة الظلم والقهر والذلة والنهب والتغريب.

في هذه الفترة الحالكة، وأمام هذه السياسة المضللة الظالمة، والقوة القاهرة التي لم تقابلها قوة رادعة، استسلم بعض الساسة، وتبعهم المنافقون، وبدأوا يسيرون في فلك المستعمر ينادون بالإصلاح على طريقة الغرب ومناهجه وحضارته، متخذين من قوته العسكرية، وتقدمه المادي حجة في ضرورة السير خلفه حذوك النعل بالنعل، وظهر من ينادي بالإصلاح على خطوات كانت الخطوة الأولى منها توحيد القضاء المصري على القوانين الفرنسية، والخطوة الثانية والتي لم تتحقق حتى الآن- وندعو الله ألا تتحقق- توحيد التعليم وإلغاء الأزهر، وتطوير المناهج التعليمية على النسق العلماني الذي يفصل الدين عن واقع الحياة وتربية الأجيال.

وكان من رحمة الله بهذا الشعب المؤمن أن قيض له من العلماء الفاقهين من رأى أن المسلمين يدفعون دفعاً إلى نفق مظلم تنطفئ فيه أنوار السماء وتساق الرعية فيه مغمضة الجفون بلا

إرادة إلى أن يكونوا عبيداً يسامون من أسيادهم سوء العذاب، ويستخدمونهم في أغراضهم الدنيئة : ينهبون خيراتهم، ويستنفدون طاقاتهم في خدمة أسيادهم ويشيعون الفاحشة بين شبابهم وفتياتهم ويفتحون أبواب الدعارة على مصراعيها جهاراً نهاراً، ويمارسون عليهم ما تدعو إليه أحقادهم الدفينة التي توارثوها من أسلافهم المهزومين من صلاح الدين ومن الخلفاء الراشدين.

وكان من رأى الحكماء أن ما حدث لم يكن ممكناً حدوثه لولا ما أصاب المسلمين من وهن وضعف في إيمانهم، وما شاب هذا الإيمان من بدع وخرافات التصقت بالدين، وصرفت همم المسلمين عن اتخاذ أسباب القوة التي كانت كفيلة بصد هذه القوى الخارجية، وسحق هؤلاء الخونة المنافقين الذين ساعدوهم وآزروهم.

واتجه هذا الفريق إلى التربية الدينية الصحيحة، وتنحية البدع والتقاليد والخرافات التي ألصقها المغرضون بشعائر الإسلام من أيام الفاطميين الذين استهدفوا صرف طاقات المجتمع وهممه في مجال يشغلون به عن التفكير في المظالم التي يرتكبونها في حق الأمة.

ومن هذا الفريق المصلح الملهم المجدد الراشد والعالم الفاقه الإمام الشيخ/ محمود محمد خطاب السبكي الذي تكاملت عنده الرؤى، وفقه الواقع، مع ما حصله من علوم الدين- بعمق وأصاله- من معينة الصافى حينذاك في الأزهر الشريف، وما تميزت به شخصيته من تطبيق كل ما تعلمه من أحكام شرعية على نفسه أولاً، ثم على أهل بيته وأحبابه وزملائه منذ بدأ طلب العلم... فكان بذلك أهلاً لأن يلهمه الله عز وجل أن يكون جمعية دعوية مستقلة تحمل علم التعاون في بناء الشخصية المسلمة السوية على منهج السلف الصالح، إيماناً منه بأنه (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)، وسماها (الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية) إشارة واضحة وشعاراً ملزم يحتم على المنتمين إليها استشارة الشرع الحنيف واستصحاب توجيهاته وأحكامه في أى تحرك إصلاحي سواء كان دعوة إلى الله أم كان عملاً صالحاً يسد

ثغرة، أو يرفع حرجاً، أو يضيف إلى قوة البنيان لبنة، ثم هى جمعية تتبنى التعاون بين القوى الفاعلة والنفوس الصافية ممن حول الأقوال إلى أفعال، ممن نجا من الازدواجية بين ما يعتقد وما يباشره في دنيا الواقع، ممن رضى بالإسلام دينا وبالقرآن منهجاً ودليلاً، وبمحمد ﷺ سراجاً منيراً.

ذلك أنه ما أخر المسلمين وما أضعف كيانهم إلا كثرة الكلام وقلة العمل، وكم من عالم أحاط بتعاليم الإسلام وحقائقه ولم ترتفع همته إلى تطبيق ما تعلمه، ودعوة غيره إلى ما استبصره.

لذا أصر الشيخ المؤسس على أن يتضمن اسم الجمعية هدفها ليتنحى عن مسيرتها أصحاب الشعارات الرنانة والجذابة ثم لا ترى منهم إلا كلاماً معسولاً لا يصدقه جهد مبذول، أو عمل راشد مقبول.

خاتمة

هذا هو منهج الإسلام الذي كان عليه سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، من فقهائنا ،ومفكرينا الكبار ،وقد مجّد ديننا المجاهدين في كل زمان ومكان،الذين نظروا في كتاب الله تعالى- وسنة رسوله ﷺ فأخذوا بحقائقها القاطعات ،ولم يقدموا عليها شيئاً من هوى نفوسهم وتأويلات عقولهم ،واستعملوا ضوابطهم الأصولية في استنباط الأحكام والأفكار من معينها الصافي الثري الذي لا ينقطع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فأتحفوا الحياة بكل جديد مثمر،فتقدموا في العلوم والمعارف الإنسانية ،وأنبتوا حضارة زاهرة كانت مصابيح الهداية للإنسانية الحائرة.

وهذا المنهج في دراسة المفكرين لابد أن يقود حركة الإنسان المسلم ومجتمعه إلى صنع التغيير المستمر والحضارة المتجددة ،كي لا يتخلف عن ركب الأمم بل يتفوق عليها إيماناً بالتوحيد الخالص،والعبودية الكاملة لرب العالمين،وانطلاقاً من مسئوليته الكونية الشاملة من حيث كونه خليفة ،كلف بقيادة الحركة في الحياة وأداء حق الأمانة في الأرض.

فالفكر والمفكرون ودورهم في مجال إثراء الفكر والثقافة،ودورهم في دفع عجلة الحضارة الإسلامية إلى الأمام مهم جداً، وله خطورته في بناء الفرد والمجتمع، وهذا العمل منهج يريد إعادة الشخصية الإسلامية إلى موازنتها الأولى الصحيحة،كما ينهى الصراع الداخلي بين المسلمين،حتى نقوى على مجابهة الجوانب المادية واللاإنسانية في الحضارة الغربية ،تمهيداً لنقل المسلمين النقل النهائي من منظومة الحضارة المادية المعاصرة إلى منظومة الحضارة الإسلامية.

إن المفكرين والعلماء إذا أعطيت لهم الحرية والحقوق سيبدعون ويؤثرون في المجتمع تأثيراً إيجابياً مباشراً.

وقد ظهر لي من خلال دراسة شخصية الأستاذ الدكتور/ محمد المختار المهدي ، أنه يعتبر عضواً فاعلاً في مجالات عديدة، ويدافع عن قضايا المسلمين ويحمل همومهم على عاتقه حتى يبزغ نور الفجر بالنصر المبين. قوى الله كاهله وثبته على الحق حتى يأتيه اليقين.



المؤلف في سطور

هو : فضيلة الشيخ/ بكر إسماعيل

Beqir Ismaili

من مواليد شهر أكتوبر ١٩٥٩/١٠/٠٤م.

المولد :جمهورية كوسوفا *Kosova*

[إحدى دول منطقة البلقان]

حياته . . . ومؤهلاته العلمية :

تلقى الشيخ/ بكر إسماعيل تعليمه الأساسي في كوسوفا، وقضى مرحلة التعليم الثانوي في سوريا، وأنهى مرحلة التعليم الجامعي والعالي في رحاب الأزهر الشريف بمصر .

الوظائف التي شغلها . . . والأعمال التي قام بها:

يعد المؤلف عضواً فعالاً وشخصية بارزة في العديد من المجالات العلمية و الإعلامية، والسياسية، والثقافية، ... ويغطي نشاطه أصعدةً كثيرة داخل كوسوفا، كما يقوم بدور رائد تجاه قضية بلده - في مصر والعالم العربي والإسلامي، وكذلك العالم الغربي - ممثلاً، ومندوباً، وعضواً، ومحاضراً، وباحثاً، ...

وقد شغل المؤلف وظائف عديدة حيوية، من أبرزها وأهمها:

- ممثلاً رسمياً لكوسوفا في مصر .
- ممثلاً للمركز الإعلامي لكوسوفا في الشرق الأوسط .
- ممثلاً للمشيخة الإسلامية لجمهورية ألبانيا بالقاهرة .
- ممثلاً للمشيخة الإسلامية لجمهورية مقدونيا بالقاهرة.
- رئيساً لوكالة ألبا برس *Alba Press* بالقاهرة .
- مندوباً لبعض الصحف والمجلات والوكالات الإعلامية في جمهورية ألبانيا، كوسوفا، مقدونيا، البوسنة والهرسك.
- له دور فعال في ربط العلاقات الثقافية والدينية فيما بين الدول الإسلامية ومسلمي البلقان .

- لـه نشـاطٌ واسع تجـاه قضـايا منطقة البلقان،وبخاصـة مـا يتعلق منها بدولة كوسوفا، ألبانيا، مقدونيا .

الأنشطة الثقافية . . . والمؤلفات العلمية:

لقد سخر الشيخ/ بكر إسماعيل وقته وجهده وقلمه من أجل قضايا منطقة البلقان بصفة عامة، وقضايا كوسوفا وطنه بصفة خاصة، وهو في ارتباطه بهذا الواجب والدور الجليل في خدمة قضايا الأمة الإسلامية ... قد ساهم في إبراز قضايا الأقليات المسلمة في هذا الجزء الغالي من الأراضي الإسلامية في أوروبا، ذلك الكيان الشامخ العريق الذي تحاول الأيادي الغربية القضاء عليه نهائياً في هذه البقعة من العالم ... لقد احتسى الشيخ/ بكر إسماعيل مرارة العدوان والحروب... والدمار والخراب - الذي لحق بكل شبر غال في منطقة البلقان، وهو في رحلة جهاده الفكري ... قدم للقراء في العالم العربي والإسلامي عدداً من البحوث والمؤلفات القيمة.

من أبرز ما قدم في هذا النتاج العلمي الثري :

[١] أثر اللغة العربية في اللغة الألبانية .
[٢] أحداث كوسوفا الدامية إبان العدوان الصربي على لسان شهود العيان.
[٣] أطفال كوسوفا بين مآسي الماضي وآمال المستقبل.
[٤].بوادر الكارثة الكبرى في كوسوفا
لفضيلة الشيخ / توفيق إسلام يحيى .
[٥] جيش تحرير كوسوفا قوة فاعلة في تحقيق السلام.
[٦] الحصاد المر لمذابح كوسوفا.
[٧] داخل محيط الحضارة الغربية -حصلت مجزرة البوسنة البشعة-
[٨] العلاقة بين اللغة العربية و اللغة الألبانية
و أثر ذلك في الدراسات اللغوية .
[٩] قضية مسلمي كوسوفا وهمومهم المأساوية في المحافظات الثلاث
Presheva , Bujanovci ,Medvegja.
[١٠] كوسوفا أمة مضطهدة .
[١١] كوسوفا بين الاحتلال و الاستقلال .
[١٢] كوسوفا في ميزان المجتمع الدولي.
[١٣] كوسوفا و حلف الناتو .
[١٤] ما هى كوسوفا.
[١٥] مساجد كوسوفا المدمرة و أثرها في تنمية وعي الأمة.
[١٦] من آثار العدوان الصربي على شعب كوسوفا .
شاهد عيان على الأحداث – الأستاذ/ عبد الله إسماعيل.

[١٧] من أعلام المفكرين البارزين في كوسوفا.

كوسوفا واتجاهات الفكر المعاصر " سلسلة قضايا معاصرة":

[١٨] الأستاذ الدكتور/ إسماعيل صادق العدوى ...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[١٩] الأستاذ الدكتور/ الحسيني أبو فرحة ...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[٢٠] الأستاذ الدكتور/ عبد الحليم عويس...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا.
[٢١] الأستاذ الدكتور/ عبد الصبور مرزوق ...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[٢٢] الأستاذ الدكتور/ عبد الغفار هلال ...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[٢٣] الأستاذ الدكتور/ عبد المعطي محمد بيومي ...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[٢٤] الأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الجيوشي...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا.
[٢٥] الأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي ...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[٢٦] الأستاذ الدكتور/ محمد الشحات الجندي ...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[٢٧] الأستاذ الدكتور/ محمد رأفت عثمان ...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[٢٨] الأستاذ الدكتور/ محمد سيد أحمد المسير ...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[٢٩] الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[٣٠]الأستاذ الدكتور/ محمد محمد أبو ليلة ...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[٣١] الأستاذ الدكتور/ مصطفى محمود ...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[٣٢] الأستاذ المستشار/ محمد يوسف عدس ...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[٣٣] فضيلة الشيخ/ توفيق إسلام يحيى ...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .

[٣٤] فضيلة الشيخ/ علي جمعة ...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[٣٥] فضيلة الشيخ/ علي زين العابدين الجفري...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[٣٦] فضيلة الشيخ/ محمد أحمد سحلول ...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[٣٧] فضيلة الشيخ/ محمد الغزالى...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .
[٣٨] فضيلة الشيخ/ محمد متولى الشعراوى...
ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .

من أعلام الأزهر الشريف:

[٣٩] فضيلة الشيخ/ حسنين مخلوف، مفتي الديار المصرية
و حياته العلمية
[٤٠] فضيلة الشيخ/ صالح موسى شرف ، حياته و فكره
[٤١] فضيلة الشيخ/ محمود عاشور ، و دوره في نهضة الأزهر الشريف
[٤٢] فضيلة الشيخ / محمد المختار محمد المهدى ، إمام أهل السنة
و دوره في خدمة الدعوة الإسلامية

أعلام الفكر الإسلامي والعلوم الطبيعية :

[٤٣] الأستاذ الدكتور/ زغلول راغب النجار ، المفكر الإسلامي
وأثره في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم
[٤٤] الأستاذ الدكتور/ كارم السيد غنيم ، المفكر الإسلامي
و دوره البارز في خدمة العلم و الدين

شخصيات فكرية بارزة :

[٤٥] الأستاذ الدكتور / حسن عباس زكي ، حياته و فكره
[٤٦] الأستاذ الدكتور / محمد فؤاد شاكر ، حياته و فكره
[٤٧] الأستاذ الدكتور / مصطفى الشكعة ، حياته و فكره
[٤٨] شيخ الإسلام مصطفى صبري ، بقلم :توفيق إسلام يحيى
[٤٩] الحبيب / عمر بن سالم حفيظ
و دوره البارز في خدمة قضايا العالم الإسلامي

المرأة في حقل الفكر و الثقافة:

أعلام الإعلام في الإسلام :

الفكر و الأدب :

التراث الحضاري :

من أعلام الطب الإسلامي :

من أعلام الاقتصاد الإسلامي :

أحداث كوسوفا – التقارير الدورية عن الأحداث

شهر ٩/ ١٩٩٨ م	شهر ٣/٢٠٠٠ م
شهر١٠ / ١٩٩٨م	شهر ٤/ ٢٠٠٠م
شهر ١١/ ١٩٩٨م	شهر ٥/ ٢٠٠٠م
شهر ١٢ /١٩٩٨م	شهر ٦ /٢٠٠٠م
شهر١ / ١٩٩٩ م	شهر ٧ / ٢٠٠٠م
شهر ٢ /١٩٩٩ م	شهر ٨ / ٢٠٠٠م
شهر ٣ / ١٩٩٩م	شهر ٩ / ٢٠٠٠م
شهر ٤/١٩٩٩م	شهر١٠/ ٢٠٠٠م
شهر ٥ /١٩٩٩ م	شهر١١/٢٠٠٠م
شهر ٦ /١٩٩٩ م	شهر١٢/ ٢٠٠٠م
شهر ٧ / ١٩٩٩م	شهر ١ / ٢٠٠١م
شهر ٨ / ١٩٩٩م	شهر٢ / ٢٠٠١ م
شهر ٩ / ١٩٩٩م	شهر ٣ /٢٠٠١ م
شهر ١٠/١٩٩٩م	شهر ٤/٢٠٠١م
شهر١١/ ١٩٩٩م	شهر ٥ / ٢٠٠١م
شهر ١٢/١٩٩٩م	شهر ٦ / ٢٠٠١م
شهر ١/ ٢٠٠٠م	شهر ٧ /٢٠٠١م
شهر ٢/٢٠٠٠م	

فهرس الكتاب

الطبعة الأولى

رقم الإيداع : ٢٠٠٣/٣٤٢٤م

العنوان :
٣١ ش أحمد حسني - رابعة العدوية - مدينة نصر
هاتف/فاكس : ٤٠٣٥٩١٣-٢٠٢-٠٠
القاهرة